AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
UNIVERSITY
LIBRARY

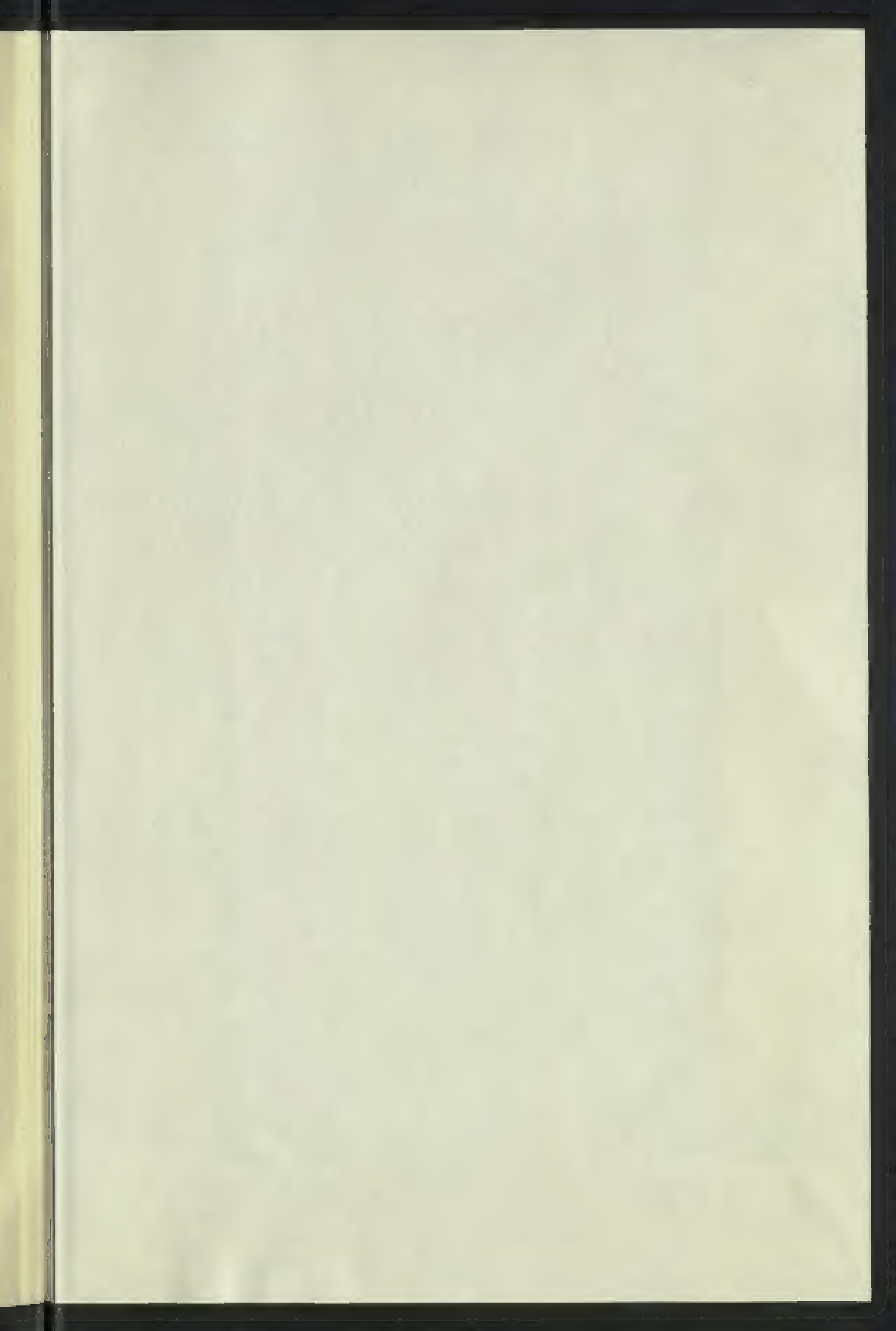

الى استاذي الحبيب بطرس البستاني

الذي عرفت عنده العلم الصحيح والادب [illegible]

بيروت ٩ [illegible] ٩٢٩

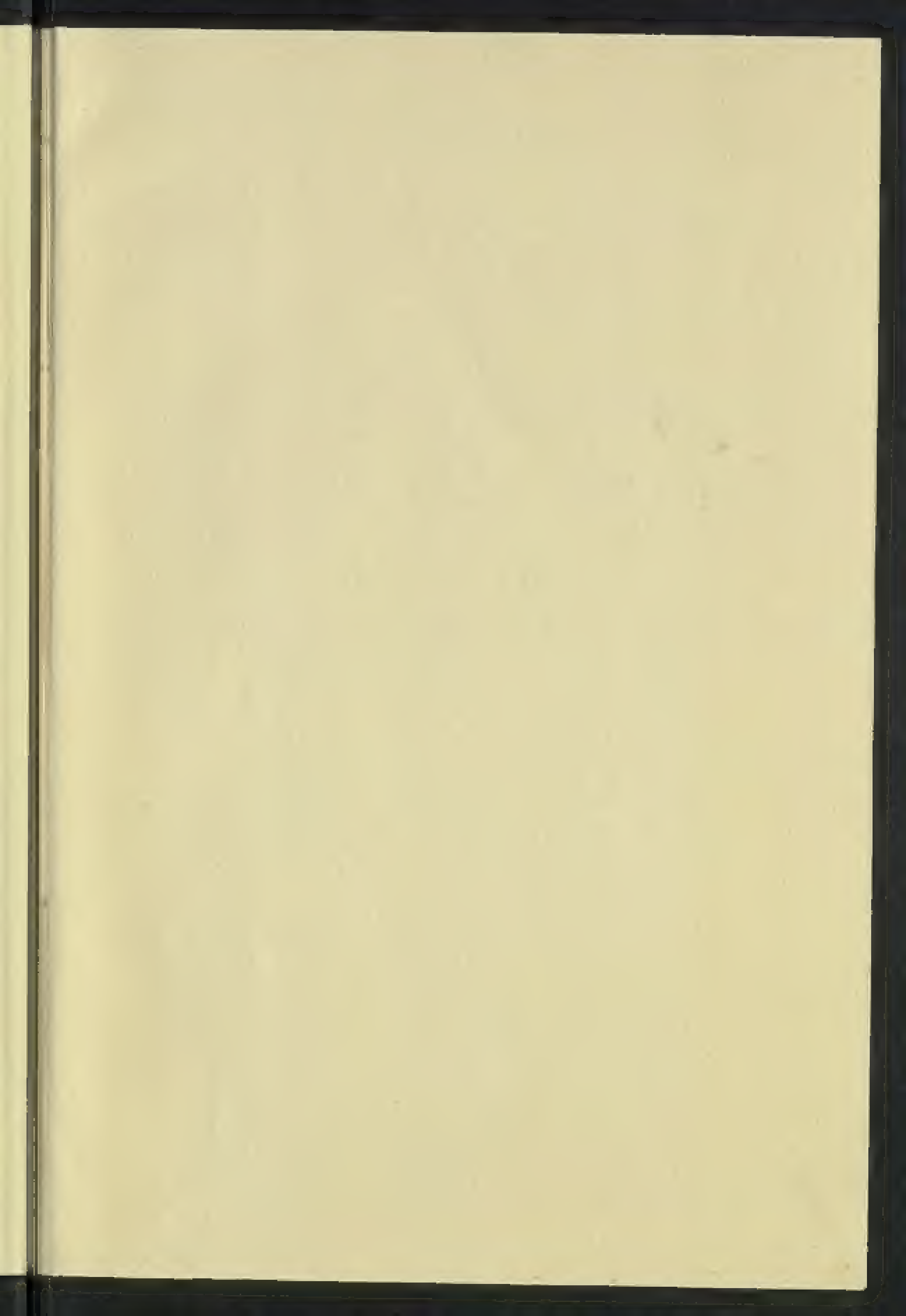

يوميات
ميشال سرور

منشورات «دار المكشوف»

الكتاب	المؤلف
الصبي الاعرج (نفد)	توفيق يوسف عواد
عشر قصص (نفد)	خليل تقي الدين
قميص الصوف	توفيق يوسف عواد
عمر افندي	لطفي حيدر
كان ما كان	ميخائيل نعيمه
ليلة القدر	احمد مكي
العراق بين انقلابين	عبد الفتاح ابو النصر اليافي
ارجوحة القمر (شعر)	صلاح لبكي
على المنبر (الجزء الاول)	الدكتور نقولا فياض
الاشتراكية العملية	ابراهيم حداد
خطيئة الشيخ	رشاد المغربي
الباب المرصود	عمر فاخوري
اغاني الفردوس	الياس ابو شبكه
وهل يخفى القمر ؟	رئيف خوري

* تحت الطبع *

الكتاب	المؤلف
الرغيف	توفيق يوسف عواد
الحقيبة	سليم حيدر

ميشال أسمر
من حلقة الاثني عشر

يوميات ميشال سروف

المكشوف
بيروت ● ١٩٣٨

طبع من هذا الكتاب خمسمئة نسخة على ورق عادي

و ٢٦ نسخة على ورق « بوفن » مرقومة من ١ الى ٢٦

٧

أهدي باكورة أعمالي

الى امي... التي كتبت الي ما تعريبه :

« بلدي دائماً ، وانا في الغربة ، اذكر الاوقات الهانئة التي كنا قضيناها عندلين مسامرين .

كنت احفظ لك ، حتى في عهد حبي الجميل ، زاوية لطيفة في قلبي الصادق . ثم احببتك ، وحلمت مراراً ان اصبح اهلاً لك ، ورفيقة لحياتك ، اساعدك في عملك واشاطرك احزانك ، ابكي عندما تبكي واغتبط لسرورك ، اشتعل معك لاصاعب شجاعتك واقدي املك ...

كنت اعلم ان الحب وحده لا يكفي شابا مثلك . فقد اطلعت على الاعباء العديدة التي تثقل كاهلك ، وعرفتك تعمل وحيداً للوصول الى هدفك، ولذا وددت مصي ووددت كل فتاة تحبك لو تحمل لك ، الى جانب حبها ، عاطفة الام ، فتحنو عليك وترعك في جانب المخلص .... »

كلمة

لست راغباً في قارئ يطالع كتابي مرة ثم يطرحه في زاوية مهملة ويبعد شبحه عن قلبه . أريد من كتابي صديقاً لاصدقائي ورفيقاً لهم في اكثر ساعاتهم . بهم فكرت عندما قررت اخراجه الى عالم الوجود ، وروحهم ناجيت عندما حنت نفسي الى احلامي .

لن يفهمني البعض . ولكن ، احس انني كتبت ليفهمني قسم ولكي لا يفهمني قسم ثان . وهذا طبيعي اذن . ان اصدقائي سيتخطّون الالفاظ وبعض غموض فيها الى ما تحمل من معان وآفاق واجواء .

... وكان علي ان لا اجعل الناس يتشككون ، فاقتصرت وأوجزت مكتفياً ببعض الرموز .

هي موسيقى راقصة ليس من الضروري ان يكون فيها عمق ، ولكن فيها نغم وفيها نفس وفي كليهما رحمة ونشوة .

بيروت في ٣١ كانون اول ١٩٣٨ .

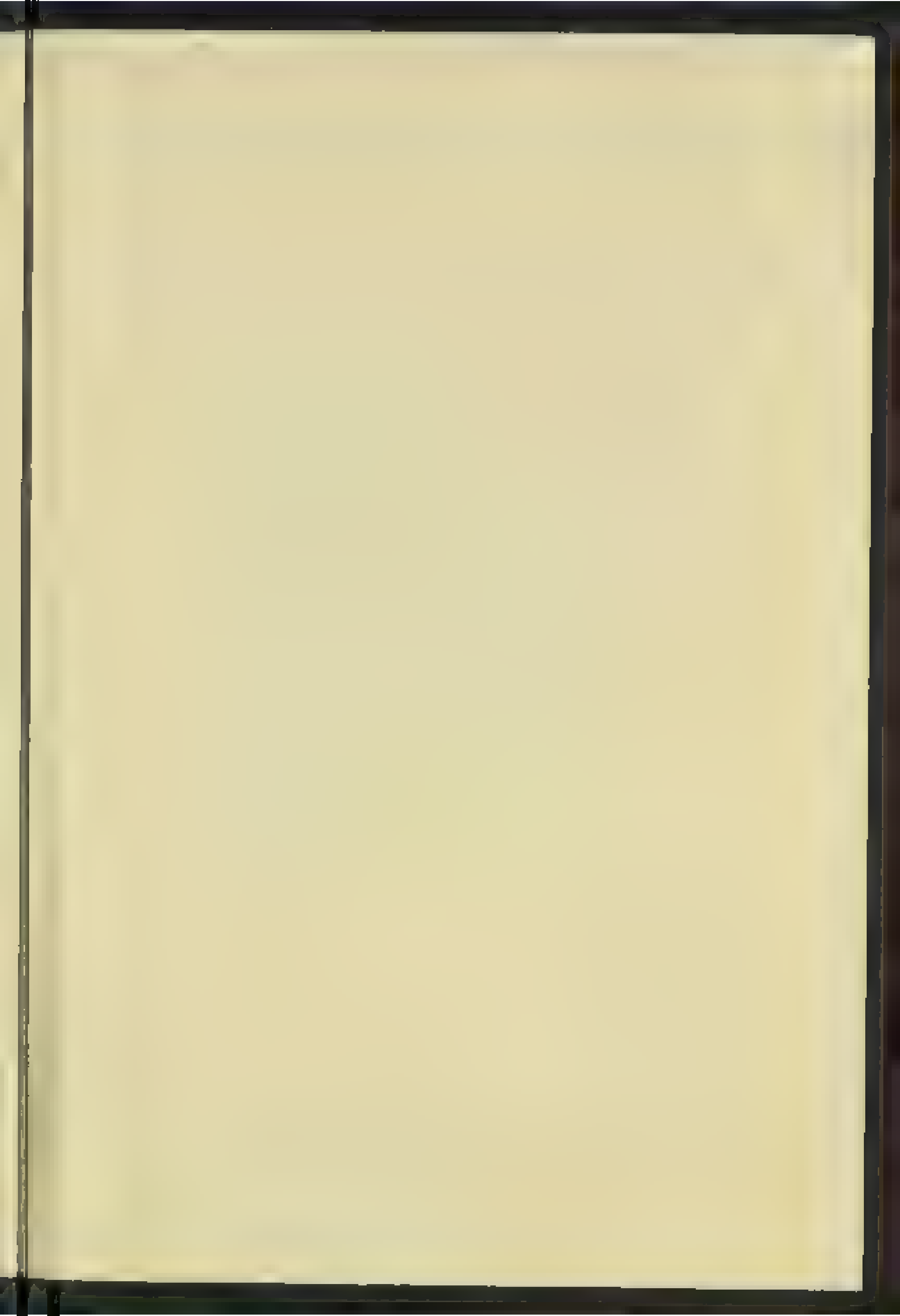

ترجمهٔ مؤلف

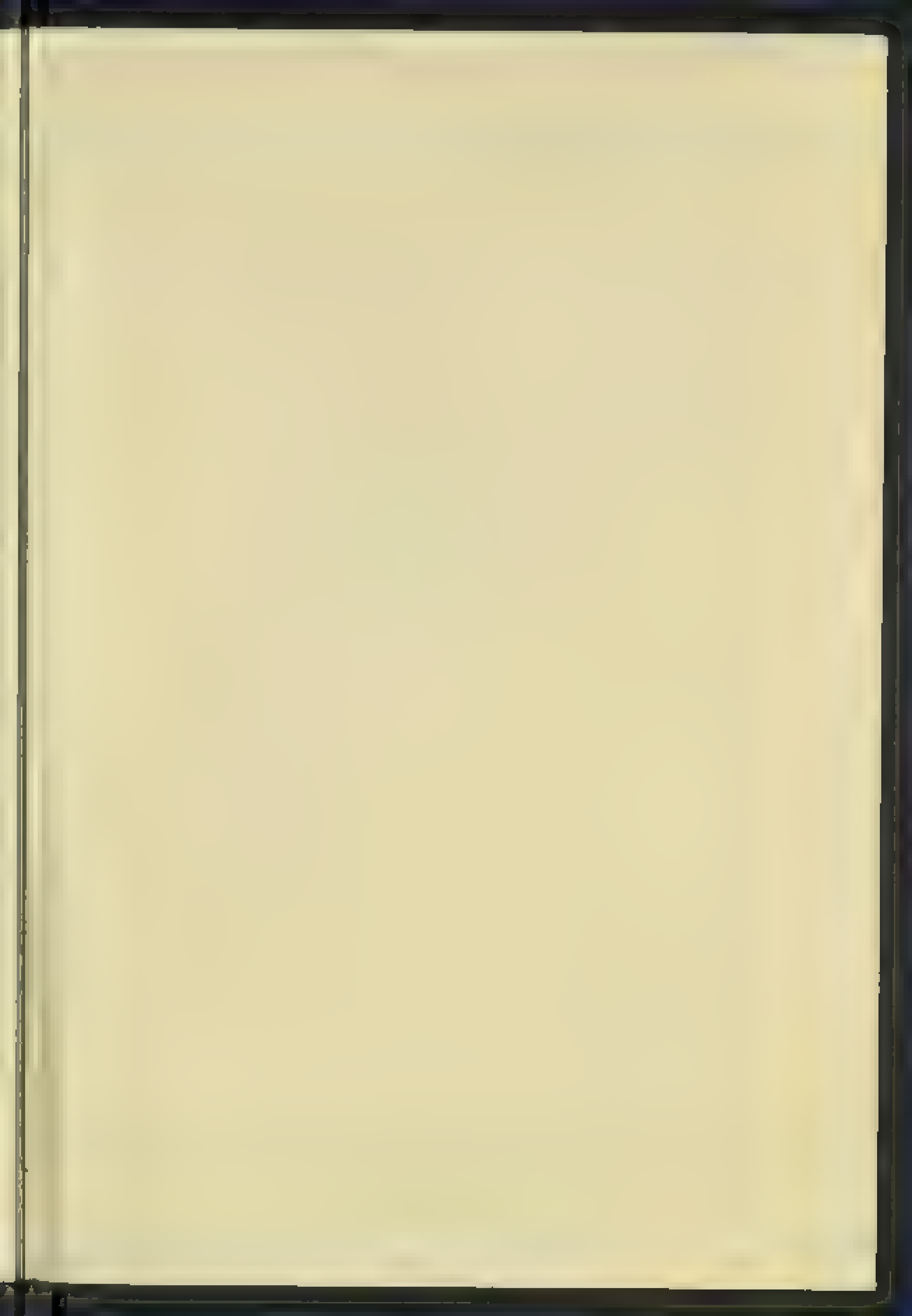

لماذا تكتب اذن ؟

شخص اول — لست من الذين يفكرون والريشة رطبة في يدهم ، ولست خاصة من الذين يسلمون لعواطفهم امام الدواة المفتوحة وقد جلسوا على كرسيهم وتطلعوا الى الورقة امامهم . اني احنق وأخجل من كل تسجيل ، فما الكتابة الا ضرورة لما اسوق اليها ، وعندي كره الحديث عنها حتى ولو ايماء .

شخص ثان — اذن ، لِمَ تكتب ؟

شخص اول — يا للأسى ! .. ولكن اعلم يا صديقي اني لم اجد حتى اليوم وسيلة اخرى اتخلص بها من افكاري .

شخص ثان — ولماذا تريد الانعتاق منها ؟

شخص اول — لماذا اريد ؟ آه ، اريد ! ... اني مجبول على ذلك .

شخص ثان — كفى ! كفى !

عن «العلم المرح» لنيتشه

١٥ تموز ١٩٣١

كنت دائماً احس عندما اخرج من كرسي الاعتراف بنوع من الغبطة وبسرور عميق، وعندما كنت ارجع الى نفسي لابحث عن مصدر هذه السعادة، كنت اجد انها تعود باكثرها الى اعترافي بخطاياي اكثر منها الى الصفح الذي احرزه عنها. اجل الاعتراف! البوح بما احس. كل ذلك يعزيني.

منذ مدة غير وجيزة وانا اتهرب من الناس حتى من الشبان، لاني لا اجد فيهم ما يقربهم الى نفسي. ولكن هذا السكوت وهذا التكمش يقتلاني. اذن، لم لا اتكلم؟ لم لا اعري نفسي؟ ولكن لمن؟ ولماذا؟

آه! لا استطيع عمل شيء دون ان اطرح على نفسي هذا السؤال الدائم: لماذا؟

ايتها الوريقات البيضاء! ستكونين رفيقة نفسي وقبر احلامي. فيك سأجد العزاء في ساعات ضجري، واللذة في ساعات غبطتي.

انت على الاقل ليس بامكانك ان تتهربي من سماعي، سآتي اليك كلما راقني الامر، واحدثك عن ما اشاء، وبعدئذ ارجع اليك كلما طاب لي ذلك، وفي المستقبل... المستقبل القريب والبعيد، سأجد فيك افكاري غير مشوهة وعواطفي حية صادقة.

الاعتراف... الاعتراف... البوح بمكنونات النفس.

١٥

الاحد صباحا

لقد قضيت ليلة مؤلمة ... اشباح مخيفة مرت في خيالي ومنعت عني الرقاد ، اشباح رقت احياناً ، فكنت احدث عن حياتي وتتراءى لي الاجيال المقبلة مهتمة بها . فكنت اشاهد هذه الوريقات التي كتبتها والتي سأكتبها كأثر ثمين تتسابق المكاتب للاحتفاظ به .

ولكن ، يا لتعاستي ! كنت احس في احيان اخر بالوحدة ، بالالم ، احس نفسي منبوذاً ... يا لهذا الجنون ! أبطل نفسه جديراً بالاهتمام ؟

على كل ، ستبقى هذه الوريقات ملكي الخاص اتصرف بها كما اشاء ، واتلفها ساعة اريد بعد ان اخفيها عن كل احد .

ولكن تراني اعود الى فكرة المسؤولية ، الى سؤالي الدائم : لمَ هذا وما هي نتائج ذلك ؟

هنا تأثير المدرسة علي ، هنا تأثير الدين ايضاً !

٢٥ آب ، نصف الليل

الموت [illegible] ، لا اريد ان اموت دون ان اعطي شيئاً مني ،
دون ان اترك ذكراً ابدياً في هذا المنفى الارضي .
علي ان اصدر كتابي في الفرصة العاجلة .
وها انا اكتب بعناية

« عزيزي ...
لا شك انك تذكر ذاك المساء المظلم من حزيران الماضي يوم
جئت البيت مصفر الوجه ، مضطرب اليد ، وارتميت على حافة
سريرك . ساد صمت بيني وبينك ... وبدون ان تسألني عن الخبر
بدأت اسرد على مسامعك المرعبة حادثاً غريباً جرى لي وكان له
التأثير العميق في كامل وجودي . واليوم يستولي علي شعور عام
بقلقي ويقض علي مضجعي . احس بالضعف ، بالتلاشي ، بالموت .
ولذا جئت اطلب اليك ان تقتطف من مذكراتي المقاطع التي لها
علاقة بهذا الحادث ، وتؤلف منها قصة طويلة مستعيناً بالصفحات الاولى
من كتابي الاخضر الذي يمكنك ان تجده في زاوية مكتبتي السرية .
ابدل الاسماء ان شئت ولكن دع اسمي يظهر كما هو ، هذه هي
ارادتي ، وان وجدت صعوبة في تتميم هذه المهمة التي القيها على عاتقك
فتعذر عليك القيام بعبء الاخيرة ، فانشر على الاقل مذكراتي على
علاتها ، واهد كتابي الى اصحابي الذين اودهم واحفظ لهم الطيب
ذكرى حتى في الدنيا الثانية ، وراء القبر .

١٤ ايلول

بعد مشاهدة بعض الأفلام أخرج من قاعة السينما وفي نفسي احساس عميق . تستوي رؤاي فأفكر : يا لصديقي ! يا لمعارفي ! أبطال كبار تراءت لنا ... رجال عظام : وأنا لا أكون منهم؟.. يجب ان أصل الى هدفي ، أن أصعد اليه ... أبتعد عن أشباه المثقفات الميتة !

الخميس ٨

ما هو دور امرأة في حياتي وما هو موقفي منها تجاه رغبتي القوية وهل هي الا آلة هو ؟ (وهل تعرفت لها كذلك ؟) ثم اصبحت انظر اليها كذلك بصدق ثم رباطة العصبية التي [illegible] طوال الشهر الماضي ؟)

ولكن لادع الظروف تقودني في كل حوادثي هذه .

أما الزواج ... ولكن لا ! اين احلامي ؟ أين رسالتي ؟ اين حريتي [illegible] حيث يحي ابن المرأة ، المدينة هوائي ، الضاغطة على مجرى حياتي الخ .

الحكمة

ان الرجل الحقيقي يرغب في امرين : المخاطرة واللعب . ولذا هو يحب المرأة : اللعبة الاشد خطراً .

الرجل يخلق للحرب والمرأة لراحة هذا المحارب ...

ان المحارب لا يحب الاثمار الشديدة الحلاوة . ولذا هو يحب المرأة . هناك طعمة مرة تبقى في المرأة الاكثر حلاوة .

على من يقع بغض المرأة غالباً ؟

هاكم ما قال الحديد للمغناطيس :

« اني ابغضك كثيراً لانك تجذب دون ان يكون عندك القدرة الكافية لتحتفظ بما تجذب » .

(عن فيلسوف الماني)

انتبهوا جيداً الى الطريقة التي بها تعقدون زواجكم . ليكن هذا العقد ناضجاً جيداً . والا يتبعه انفصال طبيعي .

ومن المفضل ان ينفصل الزوجان عن ان يكونا تحت قطيع .

وها كم ما قالت لي احدى النساء : « حقاً لقد حطمت قيود زواجي ولكن هذه القيود كانت قد حطمتني قبلا » .

لا تفكروا فقط بالانتشار والزيادة بل فكروا بالسمو . ولا بأس ان تستعينوا لذلك بحقل الزواج .

نيتشه

١٠ تشرين ثاني

لتكن الصراحة هدأ علاقتي مع اصحابي وصويحباتي . ولم لا اقول لبوريس : « انا ... هذا ما اريد ... هذه هي وعودي فقط ... يمكنك ان تتكلي على هذا وهذا فقط ».

ولكن ، الم اجرب ذلك مرارا عديدة حتى اليوم وكنت اعود فاشلا ؟

هذا الحب لا يوافق من اعشر. وهل باستطاعتي ان اندد به عبره؟ انا ساقط دائماً محمولا من معارك يرسمون في [illegible] على هوامش النجوم.

٢٢

الاحد

وددت لو استطعت تلقين الحب الصادق الى الفتيات اللواتي يخطبن بي.

وهذه الرسالة من صديق لي في المانيا : « صداقة حرة تسيطر على علاقاتي مع فتيات من الجامعة ... مراسلة ، احاديث ، رحلات ... اخيراً حياة مفتوحة ..

من المستحيل ان اجد ذلك في بلادي .

اذاً سأفرغ عواطفي بالشكل الذي اريده : رسائل غير منتهاة ، قصائد مرفوعة الى من اوحاها دون ذكر المصدر .

كل ذلك للذتي فقط : « ما احببته بحث في سكري وشوقي و ... نفسي.»

الاربعاء ٢٠

اكاد انهي دروسي الثانوية وهي في صيغة بعد ، مفيدة محدودة .

ولكني لا احس بتحرج في داخلي الجسمي والروحي ، احس بثورة لا استطيع توجيهها في هذا اليوم .

قرأت كثيراً ، عشت كثيراً ... في احلامي .

لا ، لن استطيع ان اروض نفسي على احتمال ما ارى وما هو كائن (على تعبير استاذ الدين عندنا) .

مبدأ اصول الاستسلام؟ في صوت سادي ، يهمس بي الى الانعتاق الى التغيير ، الى القلق ... قلب الجسم الذي اعيش فيه .

٢٧ كانون اول

شرقي الحبيب ! كم بت في نفسي من ذكريات حية ! في مناظرك الطبيعية الجميلة ، في اجوائك الصحية المطرة ، وتحت سمائك الصافية المنيرة عشت ايام طفولتي وصباي ، عشت اسعد في نفسي الشاعرة .

احببت نعومة سكونك وحببت وسكرت من جمالك حياتي .

ان شرقيته يا شرقي ، شعور غير محدود وحماسة تثير في عن اللانهاية ، ولكن من سكني في اوربة وسهر عليه لتحقيق الى قلبي ، ذاك الطبع الذي اوضح حسه المحدود الى نفسه المحدودة ، ذلك المسمع من البشر حولي ، وان اني لا استطيع الحياة في حياته . وبت منذ حداثتي وفي صموت واسى . عشت اعدو هذا الطموح في نفسي عن سوء هذا الامر سبيل ، شقيت وتعذبت ، ولكن ما استطعت ابداً ان اقتل روحي واصبحي محبوب .

في سنة انت سنة اضطررت ان اعاشر هذا النوع من البشر ، وان اندمج في جو الغير ، وزعت الغضاء في نفس ساعات صمتي ، ان افتح راحته وافراحه ، وان اعيش معه كفرد من افراده ، ولكن ما استطعت الى ذلك سبيلا ، روحي قلقة لا ترتاح الى الماديات والى ما يرافقها من حوب ، في نفسي ثورة احس حماسة غير اني لا استطيع كبح جماحها .

يا وطن تركيا في يوم اسبوعنا الامبابية مما روعت في هذه القمة من الشرق التي سيطرت عليها قرونا ؟ وها نحن ، وليدي سنوات الحرب ، ما نلاقيه من بؤس شامل ومن ومن وكل اليهم امرنا .

شباب يتفتحون الى الحياة عندهم افكار ومذاهب ، بيئة متطرفة يستخدمون افكار المتعصبين ، فكر اهلهم الفرس ، ويتسوقون .

هي افكار عامة ما تكون فيه ، بعيدة ، ارث تركيا المتهدمة ، الى اين لنا ، من اين لي ان اعيش في جو كهذا الجو ؟

يتسق فيها تماما وفي معنا الاجتماعية فكر ، فهو دن منزلان حتى قال : « عندما ارى رجلين يسيران في الشارع جنباً الى جنب ولا يكلم احدهما الآخر لا يخالجني ريب عند ذلك في ان الاول الاب والثاني الابن .. »

« اني احس بجفوة نحو ابي وابي هو .

عند الاصبع [illegible] ذهبت [illegible] الذي عند اصبحت ادرك للحياة معنى ، فانا اعيش في بيت غريب نحن سكنت [illegible] تحت سقف واحد ، اجل ، يجمعنا سقف واحد ، ولكن ، هل هذا كاف ليجعلنا قريبين متحدين ؟

[illegible]

اسعدت بيئة بيني وبين محيطي ، خاصة عندما رحت احس في
رسالة هي رسالة الاديب ، ورسالة الكاتب ، ورسالة الروائي .

وكدت انتهي من قراءة الشعر والوجه من دون عار ، ويستولي علي
شعور هو شعور النقص في جانبي الاجتماعي . ارى بعض هذه
الروايات المطبوعة مصورة [illegible] والاشعار والاعمار ، وارى الكاتب
يحدث عنهم جميعاً كأنه اختصاصي في كل فن من فنونهم وفي كل مهنة
من مهنهم وفي كل نزوة من نزواتهم .

وانا ..

كنت اود ان اغمس في لجج الحياة لاعرف اعماقها او اصعد الى
قممها لاحس هواءها ، [illegible] ، مسحورين ،
ناقين .

نداء يدعون الى الحياة في كل ما هو كائن .

ان الذي يشاهد العذاب لا يحس العذاب، ولا يستطيع التعبير عن
نفس متألمة ، شقية . الفرق عظيم بين من يحيى شيئاً وبين من يقرأ
عنه او يسمع شتى الاحاديث المتعلقة به .

بالامس القريب شهدت رواية « [illegible] » [illegible] .
ذرفت الدموع حارة لبعض مشاهد تتخلل الرواية . وكان في حيني

بعض الاصحاب فما كنت ارى على وجوههم سوى تأثير مائع كأنهم لا يحسون ما يشاهدون . اما انا فكنت اشعر لعذاب هؤلاء التعساء واشاركهم بكاءهم . انا احسست الاخوة بيني وبينهم لاني عشت عذابهم في حياتي الخاصة .

الاثنين

اود ان احيا كل انواع الحياة ، اريد ان اشعر بكل شيء . الحياة مثيرة واحساساتي متعددة تدعوني احياها كلها ولا اندم على ما [illegible] عواطفي لو كانت هادئة (؟) رزينة (؟) كما نصحني كل من عرفني وخاف علي من نزواتي الشديدة .

لن اتحدث ابداً في كتاباتي عن اشياء معروفة سطحية فقط. قرأت تآليف جيد كلها ثم اطلع على حوادث خلاف عائلي ابداً مع ان هذا الكاتب يحدثنا عن احساسات النفس البشرية كلها . فما الذي جعله يعرض عن مثل هذه الخلافات ؟ تساءلت عن هذا مراراً ، واخيراً عرفت ان جيد [illegible] مع امرأته [illegible] يحبها اتفاقاً متبادلاً ابعد فيه كل سبب للخلاف ، فهو اذاً لا يعرف هذا [illegible] وامرأته وبالتالي لا يأتي على ذكره في مختلف تآليفه.

قال لي احد اصحابي الظرفاء : « لم احس ابداً بضيق اسمي ، وما استطعت سوى تشبيه [illegible] لي رفيق لك . انما كنت اراه يسهر حتى [illegible] ، مثلاً ، ليقوم بعض الاحيان [illegible] بعض الناس .»

اه ! يا صديقي ! كم هي بعيدة عن الحقيقة هذه التصورات التي تخالج مخيلتك

لا ، لا . يجب ان احس ما اكتب (وقدا : الاسفار) .

١٢ كانون ثاني

وها انا اسير سيراً حثيثاً في القصة التي أؤلفها . ستكون قصتي يوماً من التراجم . اود ان تكون اول من تعرب لي على شكل داود النقل العبود ، لفرنسوا موريك . سأجد عن هذا المكسب عنوان كتابه واجعله ، احسن احمله ، اقوى واصح واعظم من مؤلف موريك .

أأصبحت من نفسي ؟ أأجرؤ على كتب ما تقدم ؟ اجل ، ولم لا ؟ لا دع نفسي تحاسب نفسي

في رسالتي الاخيرة الى م . قلت لها : « يا لك من غبية ! قد مزقت رسائلي الاخيرة وطرحتها جانباً . الم تفكري انه كان باستطاعتك ان تبيعي بها يوماً ، وتبيعيها بذهب الرنان ... ام تشعري بقيمة إمضائي ... ام تخشي الخلود سدت لابراز هذه الرسالة الى عالم الوجود ؟

ارى الحانات والامم والعاكون امرء يركضون للمدفاة بي ! ساعيش في القلوب ، سيتحدث عني الناس ، سيصبح كل ما مسه مختوماً بطابع البقاء ، ستكون غرفتي تاريخاً وتاريخاً هي .

ذات الي في ساعات عطفي وهي قصيرة . ولكن ... في ساعات اخرى : ألعنني ؟ من انا ؟ انا حشرة صغيرة ، انا شيء تافه امام عظمة الكون .

لا . سيري الى الانسان يا ابنة الرحمن . أأنت مجنون ؟

انا ضعيف ، اقر بنفسي بعجزي عن نزواتي ، واذ كنت في حربي لان لا انجرس مثلك ، انا لا سكت ، انا اعيش وحدي ، انا راض بمقداري فلا تستهزئ بي . فانا اتليتك ، فمن تعرف من بعض رواي ، دعني وحيداً مع نفسي .

شكراً على نصحك ، وعداً مني أن لن افرض سخافتي عليك بعد اليوم .

الاربعاء ٩ شباط

حالة بلادي تونس ، ومعيشتها سيئة ، وعمق سعادة مواطني
ويمكن اراني بعيداً عن سياسة واساليب وتطوراتها . ( ) من اسعى
بما فيها اختي موسيقى حسني اقتنع هو مقتنع بي ، ترجمي لا ادري ،
بوجودي الخ .

امس ، حررت كثيراً ، اخرج من مكتبي السعيد في خيبة
الاجتماعية ، في الحركات العامة وفي الاسبوع الاخير ، وقعت صلات
الاصلاح في مصطرتهم الاخيرة لاسقاط الخمس سنين واسدال شكل
الحكم . وقد اثرت في حسيتهم وبعثت حرارتها الى بعض الاعماق .
سررت من عملي سابقته ، واحسست بشيء من الراحة ، ولكن .
يدم فيّ ذلك الاحساس طويلاً .

ما كدت اعود الى غرفتي واندس في جوها حتى عاودتني هموم
افكاري الاولى ، فرحت الى اعماق نفسي ابحثها واسبرها واعد لها .

وتصافحت بعد الظهر ، فذهبت الى الشاطئ ، الى الغيمة الحرة
انعم في صمتها وصفائها ، وارتميت هناك على الارض ، على العشب
استريح من حمقي الداخلي ، ثم سمعت الصخور وساقت الرياح
انهك جسمي ليستريح فكري . ولكن ...

وفي الليل ، حلمت وكانت احلامي عديدة ، وكنت انا محورها
الوحيد .

٣٢

آه منك ، نفسي ، الى اين يقودني الهمّ ؟ لكل نفثة من نفثاتك
وصمة من صماتك ؟ انا مثقل بك ، متعب منهك . هلا ادركت ادراكي
فتتركين وتريحيني منك .

وتتسع الهاوية بيني وبين رفاقي ...

لا اجد الشوق نفسه والاهتمام الزائد اللذين كنت احس بهما من صديقي م.ا. وها هو يبتعد عني.

انا احب هذا الصديق واغار على صداقته ان تفقد . ولقد حدثته عن ذلك ، اطلعته على حيرتي وشكي منذ الصمت مبكراً ، وعند الحاحي اخبرني انه اصبح جدي في علاقاتي وفي حديثي بعض حركات ، بعض نغمات قوية مفزعة ... وفي سلوكي شيئاً من الشبهة .

يا لتعاستي ! انا ضامن طهارتي ، اكيد منها .

اوليس من الممكن ان اجد من يفهم سر اعماقي ويتسع تصوراتي فهماً ؟ في معنى رسالة الروائي ، وانا مدفوع طبيعياً للتعمق في كل شيء ... في كل شيء . هل من اخطار ؟؟؟ لا بأس . الم يعكس وحدتي دائماً ان اكون نفسي بنفسي دون اي مساعد ؟

١٠ شباط

وبعد وفي ارى مجتمعي يغرب متصلع اي متشكك خائفة .

ارى ان القصص حياة غير حياة اي كان .

هذه الرسوم [illegible] الحركات القديمة التي لا تشبه [illegible] [illegible] من [illegible]

والتي غالباً ما تكون لها قيمتها الكبيرة .

وبعض الاشياء التي يجب ان يدخلها ان اراد ان يكون صادقاً

في وصفه .

من يفهم ذلك عندنا ؟

يجب ان اتحمل كل المسؤوليات وحدي وان ابتعد عن كل من

اتصل بي ... وسأوقف منذ الان ايجاد كل علاقة جديدة يمكن

ان تحدث تأثيراً خارجياً انتقاديا على صاحبها .

سبت صباحاً

هكذا تكلم زردشت :

المطرقة

في ذات يوم قال فحم المطبخ للماس :

« ما هذه الصلابة فيك ؟ ألسنا (من مصدر واحد) قريبين ؟ »

وانا اسألكم ايها الاخوان : « ما هذه الليونة فيكم ؟ أولستم اخواني ؟ لمَ هذه الطراوة والخضوع ؟ لم تنكرون دائماً الى هذه الدرجة ، وتضعون التفاني في قلوبكم ؟ لمَ نظراتكم بعيدة لا تجمع الهدف في شعاعها ؟

وان لم ترضوا ان تكونوا القدر وفي عزمكم ، فكيف يمكنكم ان تنتصروا معي ؟

وان كانت صلابتكم لا تريد الالتماع والقطع والكسر ، فكيف يمكنكم ان تخلقوا معي ؟

اصبحوا هكذا لان الخالقين قساة . ويجب ان تطبعوا يدكم على الدهور كما تطبعون على الشمع اللين بسعادة طبيعية .

ان القاسي وحده هو رفيع .

وها انا اعطيكم مبدأ جديداً تسيرون عليه : كونوا صلاباً .

في ليلة ارق

امي ! انا احبك يا امي ! وانا لا احبك كما هي ذلك شاعر لانك امي فقط ، انا احبك ، ولحبي دوافع عقلية امتزجت بعاطفتي الطبيعية نحوك ، فاصبحت معتقداً ان علي واجباً مقدساً اقوم به تجاه من كانت ربة حنانه ، ومن تحملت لنموي المتاعب والمشقات . منذ حداثتي ونفسي الحساسة تشعر بعمق وشدة لانك . شهدت تعبي وانا صغير ما كنت تقومين به من اعمال حفظاً لكيان عائلتنا ومساعدة لشأن المالي يوم كان من له ادارة دفة البيت لا يديرها بتوازن . . . ولكن لمَ اعيد عليك الذكريات على ذهني وانا مقتنع بها لا حاجة لي بترديدها ثانية ؟ ما عرفت العاطفة اللائمة فحسب ، بل احسست بقربك الالم الصامت والحب العميق . اذ تدنيني يا اماه ، ولكن ، في اعماقي وفي عرق جبينك وعلى يديك اشتغلت كنت اقرأ آيات المحبة الصادقة واقربك من قلبي واسمو بك . كم كتمت الدمعة عنك يا اماه وكم تحملت لابوح لك بما يكنه فؤادي نحوك لاني كنت اعلم ان الدمعة في عينيك ايضاً عالقة على اهدابك ترقب كلمة حنان لتسيل غزيرة حارقة مذلة . كنت عند ضعفي ، ولكن عديت في آمالا يتبعها امال . كان لي حتى اليوم عزاء . عزاء تذيبني الرسالة التي احملها وعزاء قيامي بواجبي نحوك . وانا لا اتمنى جيداً عما اضحي من

الاثنين في سبيل الآخر ، لاني كنت آمن تمام الايمان ان واجبي نحوك لن يصطدم بواجبي نحو نفسي .

ولكن ... ما هذه سعرات لمناسبة في عيبب ليوم ؟

١٧ شباط

انا اتذكر في هذا المساء ذكرى مرضي الاخير منذ ثلاث سنوات . مرضت يا اماه واشرفت على الموت ، وكنت آتي من المدرسة بعد ان امضي النهار مراقباً حماك وحرارتك وآلامك وانيني ، واقترب من سريرك سائلاً عن صحتك الغالية ، ثم اتركك ريثما اعود بعد ربع ساعة . ولم اكن ادري ان غيابي هذا القصير كان يولد ارتباكاً على بعض الممرضات فيؤوله كل على هواه . وعندما ذهبت مرة ، وصودف ان الحديث كان يدور حول هذا التغيب اليومي . واكاد ابكي الآن حين استعيد حوارك هم وهن جميعاً : « لا تسألوا ولا تسألن ، فيقال يذهب الى الكنيسة يتضرع الى الله لشفائي » . ما استطعت يا عذابك ان احبس عواطفي ، فارتميت على السرير اقبلك واحتمي المشفقة في صدرك . اجل يا اماه ، كنت اذهب الى الكنيسة ابتهل الى الله الا يحرمني عطفك والا يبعدك عني قبل ان اقدم لك بعض السرور في هذه الحياة التي ما عرفت منها الا الشقاء .

انا احبك يا اماه ، فكوني عزائي وكوني لي قبل الجحيم وبعد الجحيم .

ألم تلمسي فيّ سعادة وفي بعض الليالي الصاخبة فتوراً وصمتاً ؟ كنت ارى الكل يتحدثون عني فاطلب امرأة تحادثني واقول : « ما همي لو بقيت امي وابتعد عني البشر ؟ » فسرتك امام لا تصغي في نظراتك شكوك غيرك وعتاب الناس .

٣ آذار

انا احس في اي «كلمة» تتلفظ بها شفتاها .

وهذا الشك يلح، سأجهد في البوح بسرها، على اطلاعي
على ما يجول في خاطرها . ولكن، لو كان سرها ما أخشى، لو كانت
هي ايضاً تشك، فهل استطيع احتمال هذه الصدمة ؟

ربي! لا تحرمني آخر متعاتي بعدك، فهو الرباط الوحيد الذي
يوقفني عن التشرد، عن الضجر، عن الاملال

٤٥

الأحد

مضى كل شيء، وها أنا وحيد، وحيد، وحيد في شقائي وآمالي وأحلامي.

هدأت العاصفة عند منتصف الليل أو ابتدأت ودخلته وجلا لأني رأيت غرفتي لا تزال مضاءة. دخلت ممتزج الشعور، واقعاً تحت تأثير عاصفتين: عاصفة الأرياح وعاصفة إحساساتي الجديدة. وحدث في مكاني أن وجدت أمي ووالدي إلى جانبها ينتظران ابنهما، وكان حديث، وكان عتاب، وكان لوم، وكان تقريع... «ما هذه السيرة السيئة ولدنا؟.. ألن ترعوي عن عبثك؟.. وكل هذه العلامات الموسعة، الخمسة... ومقالاتك الخ... المنشورة في الجرائد والمجلات؟..»

أكاد أنسى هذا أنسى... ولكن من يؤمن بمهارة مبق؟»

٤١

نصف الليل

على الأقل انت يا ربي ، انت تعلم اني تقي ، وبريء من كل ما ينسب الي .

امي : أأصبحت ضحية الإنسان ولدك ؟ بالثقالة اذ يفقد نظرات الحرية

٢ تموز

شبعان لتشرد يستولي على عواصي الجامحة . ما هي لعنابة ...
الالهية (؟) التي عرفتني في هذه المدة الاخيرة الى دبيب استراني،
وحملتني لتهم تآبيه النهار و عود شوق الى قراءة «رباعيات الخيام»
الى هذه الاناشيد الطليقة الحرة !

فكرة السفر تفص في مضجعي وتضغط علي لكل دقيقة احياها
في هذا الجو الذي اعيش فيه . انا مشدود التفكير ... كيف
تتوهج اكثر من واحد ... زي اهراء ... سبب الشخصية
المحددة في ما كلم عنها الملاحقة والمفكرون ، ورأي ايضاً اذ
دور « السوس » امام رفاقي بعد ان سوني حيث سمة وانهموني
بها دون مبرر .

بعد اليوم اخذ العذاب ينصب على امي حيالها ، فهي تخشى علي
وتخاف علي من هذه الحياة التي ترى رفيقها ينمو في عيني . هي نفسي
كما تقول ، هي نفسي لانها كي تعمل ، آه من احيلاك لامه

الجمعة ٢٠

ورد علي جواب من صديق بيروتي ، رسالة مؤثرة حقاً ، كلها عطف ونبل وإخلاص . يقول لي هذا الصديق : « تعال الي ، فأمر تدبير [illegible] وحدك سهل ، والحياة واسعة اساعدك على احتمالها والانتصار عليها ... انا [illegible] [illegible] اصبحوا يتشوقون الى [illegible] ... [illegible] واحمل [illegible] [illegible] حدثني عنه، وعن امك، [illegible] الى الامام [illegible] و [illegible] »

على سوء [illegible] [illegible] . [illegible] . وانا لا استطيع ان القى [illegible] اكثر من [illegible] ، [illegible] اولا [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، والقوات [illegible] [illegible]

١٦ آب ١٩٣٢ في ساعة جنون

عجيب هذا الكون بانسانه وحيوانه ونباته وجماده . بين بعض في الصحف يهذي العجيب العاقل الذي يسمونه حيواناً ناطقاً .

وضحكت القوة التي افقدتني عقلي وحرمتني نطقي ، وانا سعيد بانفرادي بنفسي ، مولى في عدم تحكم على احد .

مات امس شخص عزيز لدي ، فدخلت الغرفة حيث وضع على سرير نظيف ، فرأيت اناساً يبكون ويولولون . ويا للشقي ! كاد بكاؤهم ينزل الدمعة من عيني لولا جنوني . فسكت وتمتمت منتشياً ، وحنقوا علي وطردوني من غرفة الميت .

مشيت وراء نعشه بصمت وخشوع ، فرأيت رفاقي يشيرون الي ببنان الهزء : هذا المجنون الذي نراه دائماً هائماً . ودوت كلمتهم في اذني فقهقهت ، فابتعدوا عني متحسرين علي .

حاولني الكل فحسدت نفسي على هذه السعادة، ولكني ما قدرت قط ان اعدي احداً من الحيوانية فكنت دائماً اعامله معاملة انسانية .

كنت مرة مع انسان ، وذلك في بدء عهدي بالجنون ، فحدثت مدبراً ما طهر ... الذي اتوسمه . عدت فجلست اراه ... اسود عنه الشواذ والامراض ، ثم وقفت حدثني ... حتى حولي صدات جمع ثياب امها . فتشتتني ... كنت اردعه ، فدخلت غرفة في بيتنا .

ولكن يا لها من شيطانة . حكت الشعر على جسدي بنور عينها التي وضعتها على ثقب لست [illegible] الى جسمي عاري . فرحت كدت [illegible] فامتنعت عن المضي في خلع الثياب .

ايها البشر انكم لا تأكلون [illegible]

انا مجنون الآن ولكني [illegible] بجنوني بعد حين .

سأدور عليكم [illegible] . ستجعلون تفهمون من [illegible] الجنون وتسمعون جنوني [illegible] .

[illegible] وتعجبون من [illegible] ؟

سأعمل بذلك وحدي لاني لا اريد صداقتكم فهي [illegible] ثقيل على كتفي . وهل اني [illegible] كلا [illegible] الى [illegible] ! اريد الحرية المطلقة التي لا تعيد الا [illegible] التي تجهلون مصدرها .

لا تعطون رفيقة [illegible] لحياتي ، وخاصة ان كانت من طينتكم العاقلة . اودها مجنونة مثلي لاطلقها من كل قيد .

سأرحل عنكم في [illegible] باشد الخلود والسعرية . ومن المحتمل ان اعود اليكم وسالني هل اولادكم [illegible] . انا احب هذا الشيء لان فيه بعض بذور جنوني .

وان عدت اليكم محملا على الاكتاف او ارجعت الى ما بينكم حفنة من تراب فلا تبكوا علي بل ارقصوا حول جثماني متركين .

ودرو رأسي في [illegible] الحياة !

[illegible] الابدي في [illegible] .

رأيت مرة [illegible] في شارع [illegible] من [illegible] .

[illegible]

ولكن [illegible]

[illegible] في [illegible] .

وفي [illegible] ليلا على [illegible] ، [illegible]

[illegible] وهو [illegible] والامن . [illegible] ان

[illegible] ، [illegible] ان [illegible] في [illegible]

[illegible] .

[illegible]

ما [illegible] ؟ اتصروا على [illegible] ، واستعبدوا

الطبيعة والعناصر ، [illegible] لا [illegible] . اذ

ذاك لا آنف من ان أؤاخيكم ، فأضع يدي بيدكم وسيروا معاً نحو

الكمال ، نحو الالوهية !

صديقي !

قالوا لي : [illegible] ، [illegible] ، واما

الذي كنت [illegible] !

غير أنك ان انكرتني هذه، فاني اعرف ذاتي هذه [illegible] الاولية

التي طمعت في عقبتك [illegible] لا تقدر [illegible] على [illegible] .

لقد حسبت انها [illegible] كنزاً سيكون ذخرك في مستقبل الايام

ويكفيك حظوة انك تقدمت لي في زهرة [illegible] .

سيدي لست آسفاً على فراقك فانا متبدل ، متغير ، متقلب ،

انـا ... انا مجنون ...

٢٥ — [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ولكن يا [illegible] تقولون : [illegible]

[illegible] حتى [illegible] كل [illegible] .

الا [illegible] لاني [illegible]

الاسلحة والكلمة [illegible] .

ولكن [illegible] ، كم اود ان اراكم — [illegible] ايها

الحكماء [illegible] — كم اود ان اراكم [illegible] الطاولة

والحائط .

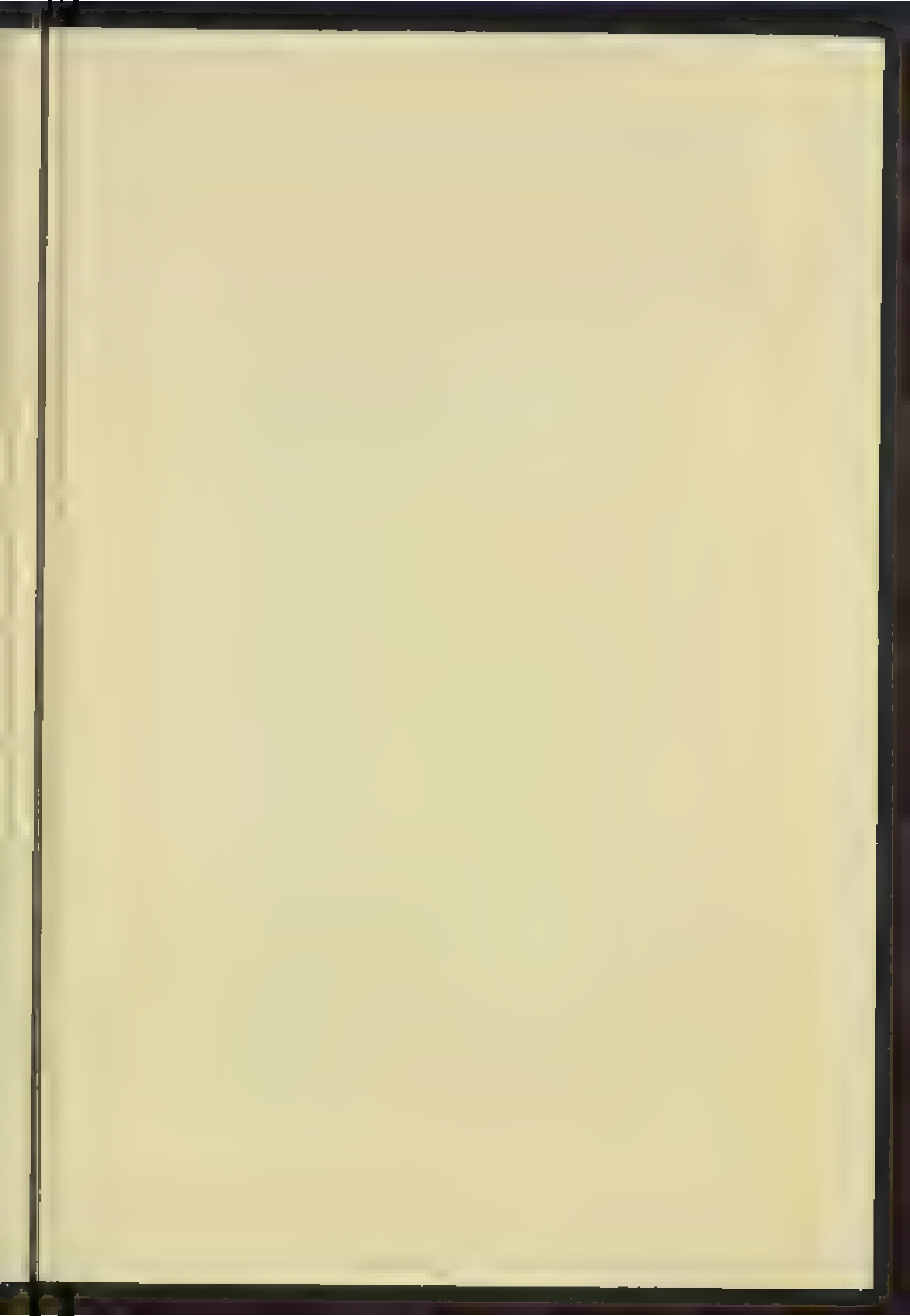

يوميات ميشال سرور

كل ما يجري في الحياة هو طبيعي ومبارك
عند الشاعر والحكيم . وهما يريان كل
الحوادث مقدسة ، وكل الآلام مقدسة ،
وكل الدموع آلهة . (بتن)

ليلتي الأولى في بيروت

نفضت عن كتفي غبار الماضي وكل ما يتعلق بي من قيود تقاليده وآلامه .

حملت فوق جسمي رداء ، وفي حقيبتي بضع وريقات وكتب ، وأتلفت أشياء كثيرة كنت أعتز عليها وأحتفظ بها ، ونفضت عن مركبي ثقل أحماله ، وسرت في عباب بحر جديد .

تركت أهلي لأتمكن من تأمين شخصيتي من شخصياتي ، ومنحها للاستقلال ، وتأدية رسالتي .

كم كان ذلك مطمحي . ولكن ، علي قبل كل شيء أن أحقق أمانيّ وذلك بشجاعة وحرارة .

أخيراً ها أنا وحدي مع نفسي : قضيت الليل الأول ساهراً ! الآن أنا حر : أستيقظ ساعة أشاء ، وأنام وأتعب ساعة أشاء ، دون رقيب ولا عذول !

أستقبل من أهوى .

هذه النافذة نافذتي ، هذه الخزانة لي .

هذه الغرفة بيتي الخاص .

بعد بضعة أشهر

أتلقى بعض الصحف من أهل بلادي تسألني فيها عن عملي الخارجي وبخصوص كثير من حياتي الأدبية، وهذا قد يكون آخر هم عندي. وأرى كثيراً من الذين تجمعني بهم الظروف والمناسبات ويتعرف عليهم يتساءلون أيضاً عن هذه الحياة، فأهرب دائماً من الجواب، لأني أود لو لم يعرفوني إلا ما عرفوني، إلا هو شخص بي، له تأثير في نفسي وعلى من يحيط بي. كم وددت لو يحدثني هؤلاء عما يسر لي، وأن يشعروا معي بالمسائل التي أثير البحث فيها في مقالاتي وفي أحاديثي. أما تخصصي حتى اليوم، فهنا حدود، وذا يثبت عندي ويتمكن إخراج كتاب هو أنا في الماضي وهو أنا في زمن الغفلة الحائرة. ماذا يهم الناس أن تكون المادة مصدرها وطبيعة الشغل، أو عمل سوى أقوم به، أو أي نوع آخر يحتوي على بعض الأدب. ما استطعت استعمال المال حتى اليوم إلا كواسطة ولم أنظر إليه أبداً كنتيجة. ولكن أتراني صريحاً مع نفسي؟ أم اتخذ أحياناً لنفسي ذات يدي؟ أو لم أمتنع عن مسائل عديدة قد يكون ما تثيره حولي في حياتي العملية وذلك لحرجي أي أمان؟

كم كان سروري عظيماً إذ وقعت منذ مدة على رأي مدير إحدى الجامعات في فرنسا، إذ حدد القيمة الشخصية في الإنسان بعدد اثنين من عشرة لثقافته المسلكية أو عمل الإنسان الخارجي، وثلاثة من عشرة لثقافته الشاملة، والخمسة الباقية لقيمته الأدبية العامة.

ترددت مراراً، وتأخرت في عدة مناسبات عن مراسلة اهلي لأني
ما وجدت الا كلمات مصطنعة احدثهم عنها .

فاني قد قررت ان احتفظ بتفكيري كله وحدي، وان تحمل
مسؤوليات اعمالي مع نفسي . كلما اصبحت ابعد من اهلي وخاصة
من امي، مع تلك العاطفة الوالدية وذلك الحنان الامومي الذي انا بامس
الحاجة اليها .

ولكن لا شك اني وصلت في عمري الزمني الثلاثين وأصبحت اسعد
الناس سنتقصى دائماً هذا الحنان الذي ما احتجته بعد ولن احتجه.
وددت ايضاً لو استطعت القيام بواجباتي المادية نحو من صرفوا علي ،
ومنعوا عن نفسهم كثيراً من الملذات ومن الضروريات ليحفظوا
كياني الجسدي نامياً وزاهياً .

ولكن ما ضرني العوز في حياتي طالما ارى نفسي تسمو وتزدهر
وتتكامل .

في هذا الشهر وفي كثير من الاشهر غيره، تناولت طعام العشاء
صائماً لأجمع دريهمات اوفرها لارسلها الى اهلي مومياً اياهم اني في غنى
عنها . ساعات آلامي عديدة ولكني احس في نفسي شجاعة على احتمال
كل شيء في سبيل المبدأ الذي ضحيت لاجلها سعادة بليدة ، تماماً
كثير غيري وعاش في مستقبله .

ترى قواي تهن بما أبذله من نشاط في سبيل الهدف، فتقاعس وتوسيم
فاما أقضي شطراً كبيراً من الليل ساهراً، منتقداً مدارساً.

الوقت

في بعض الاحيان تأخذني الشفقة على هؤلاء الناس الذين يمضون ساعات طوالاً عديدة أمام الطاولة يلعبون ويلعبون. ولكن ثمّ الوهم ولكل نظرته في الحياة؟ من الضروري ان نلتقي مثل هؤلاء، لأن الشيء يظهره الضد. ولكن، يا الهي لا تجعلني ابداً اقترب من مداخل هذا النوع من البشر!

٤ آذار ٩٣٣

في هذا الصباح ذهبت الى ج. م. ح. واخذ يتكلم عن هؤلاء الذين ذهبوا ينهون علومهم في الجامعات الغربية. ثم حدثني عن نفسه وعن رغبته في متابعة دروسه العليا.

ففكرت عندئذ بنفسي، كيف اني امتنع عن الراحة والاصطياف، وانهك قواي لاحصل من عملي. ما عدا المصاعب التي تصيبني في حياتي العائلية والاجتماعية والمادية! ومع كل هذا تراني مكباً على العمل... بدائي الذي عن هزال جسمي متحصن. اما انا فنسجي يكون من حالة مماثلة هذه.

حقيقة اني من كان مثلي لجدير بالاعجاب!

اني اكاد اختنق عندما ارى اناساً غير قادرين اجتهادي، عندما اعلم انهم لا يعتبرون سوى المال والمقام ابوانهم، عندما ارى نعمة الآباء حالة على اولادهم!

وان علي ليثور احياناً على من حولي ولا يقدر عن ان يرتقي الشاب الطموح الذي سيصبح رجلاً كل الرجل في مستقبل ايامه!

مهلاً ايا علي، اصبر دائماً، لا بد يوماً ان اصل الى ذروة المجد! سأعمل لاصل دون ملل قواي وان حاجتي الجسدية سيما وهن الجسد تحت رغبات الروح وحقيقة ما السلام على حياتي الدنيوية!

لا ارغب في العيشة البسيطة الوضيعة!

إما الخلود واما الموت.

٥٨

الخميس ٦

عزيزتي سوزي

كنت قاسياً في ساعة الوداع ومنذ رحيلي بيروت . أكتب بيت

بعد ... لأني ، منذ تلقيت ... و ... احتيها ،

... ما ساعدني اني ... كل يوم شيئة في وحدتي ، وابتعد

عنك مليئاً ... وسائلي العالي ، ... في اسمي ... .

١٤ نيسان

واني اميل طبيعياً الى التعارف الاجتماعي ، واري محيط اصحابي ينمو . ولكني اعد ذلك اهداراً من ضياع الوقت . في علاقتي خجل ، وفي نظراتي تردد . واني كالأفكار والمد بعد خروجه من البحر ؟ وترى من هو سببي اذاً ؟ لا ارغب في الظهور امام الناس قبل ان أعطي شيئاً من تأليفي ، قبل ان اعرّي نفسي امام الناس . على الاقل اصدار عدد بيومياتي او القصة التي اصبحت ناضجة في عقلي وعلى دفتري .

١٠

الجمعة ٢١

في بعض حالات غيبة اشتاقوا عن أعز أصدقائي وبعضهم من قبلك .
ذاك يذكرني بحادثة مريم المجدلية مع يسوع بعد القيامة . قال لها
يسوع : «لا تلمسيني» .. والانجيل لا يذكر شيئاً عن تعجبها إذ ذاك .
ولكن ، كم أثاله كبيراً ! هي ، هي المقربة إليه ! ثم بعد يحق لها أن
تمسه !...

الاثنين مساء

ارى بعض اللذة في تعاطي الصحافة ، وانصرف بحماسة الى القاء المحاضرات .

ولكن ، كم من مرة كنت القي منها وفيّ اسف لاني لم اؤد فكرتي بكاملها (على الاقل كنت الحس ذلك بنفسي) .

انا احلم باشياء فائقة عديدة ، اتألم ، عندما لا اتوصل الى تحقيق واحدة منها .

جربت ونويت اخيراً دائماً ايجاد بعض حركات عامة منها اجتماعية ومنها ادبية ، ولكن ما صادفته خاصة في احتكاكي مع هؤلاء الشبان ، هو نقص الهمة والتنظيم في اعمالهم . وتراني متبرماً احياناً يكاد يغلب لي لولا حماستي وسيطرتي عليهم .

على كل انا مسرور في هذا الحقل من العمل ، فقواي تنتظم وشخصيتي تتكون .

٧ ايار

إني اجد لذة عظمى وفائدة كبرى في قراءة تراجم الناس ، لاسيما العظام منهم !

قرأت في خلال هذا الشهر ترجمة نيتشه ، المفكر الالماني العصبي ، وقد استوقفتني فيه تلك القوة التي تنبع من كل سطر من كتاباته ، وذلك الدفاع الذي حمله يحتقر الضعيفة ، و[illegible] هواه الجديدة لتأدية الرسالة التي وجد لاجلها . من اين تدركه الموت . وهو الذي قال : « اني لا افتش عن السعادة بل اسعى [illegible] » . ومن رسالة انتبهت بعث بها لها يوم اشتدت عليه وطأة المرض وهو شاب بعد : « ان الآلام التي كابدتها ، والاسباب التي حرمتني نفسي ، خاصة في هذه السنة ، تخولني الحق كي اقول حب في عجب . هؤلاء اسباب التقشف . غير اني جنيت فائدة عظيمة من هذه الحالة ، ان هذه فان روحي قد زادت طهراً وصحة . واني لا[illegible] اني قد اديت رسالتي في هذه الحياة على قدر ما امكنني الوقت . فقد سكبت لكثير من الناس قطرة من الذهب الصافي وجعلت عدداً كبيراً منهم يميل نحو حياة مملوءة نوراً وصفاء » .

وقد اجتمعت واياه في محبتنا الحياة . قال من قصيدة :

« اجل ، ليس لصديق ان يحب صديقه ،

قدر ما احببتك ايتها الحياة الملأى من الاسرار،

احب فيك سعادتي كما اعشق بؤسي ،

وودّ ان اصبحت بكل صواب ،

فدعني شماعت نفس نفسي

وان سدد عليك بوعيد عدمي ،

فانا راض ، بؤسي ، سعادتي ،

طالعت بعد ذلك سيرة « موتيك » . وان كنت لم اتفق واياه عن شكه الدائم العام بعد امحتني حياته . وليت الدهر لا معاكسي لاستطيع يوماً ان اعمل مثله ، فمرت الى المؤلفات التي سعيت من الكتب ، غيرها ادخالي الشعوب الجميلة التي ساتعرف اليها . اريد ان اخوض باحثاً عن تقاليد غير تقاليد بلادي ، دارساً وجوهاً غير وجوه سكانها ، منقباً عن شعائر شعوب عن اختلاف رغباتها وميولها . اريد ان ارى الرجل الذي في وثنيته والحاده وكفره وتعبده للاله الواحد السرمدي الخ ...

لا احب والمستقبل، ومن النهر، سائر دائماً الى الامام .

كتبت الفتاة الروسية «ماري باشكرتسيف» في «سيرتها»:

«اموت طاهرة القلب والفكر والجسد .»

وكانت لم تحظ في حياتها كلها الا بقبلة واحدة من شاب احبته .

غير ان تلك الفتاة وعت في الخلود، فندمت لاعطائها تلك القبلة الوحيدة، وعزمت على ترك احب اعضم في شخص الانسان لتنصرف الى الحب المجرد المطلق .

سمعتْ صوت العبقرية فاجابتها « انا الالهة ، احبني وحدي .

ليس بيارو الا العوقة ، او موسيقى تحرّك نجران نفسي .

مسكين انت يا بيارو ! ان شهرتي المستقبلة تمنعني من ان افكر فيك لاجبة . وها صوتها يؤنبني على نسيان بعض الاوقات التي قضيتها حالمة بك .»

وكأنّ شعوراً داخلياً كان ينذرها بحياة قصيرة ، فكتبت وهي في الخامسة عشرة من عمرها : «اني احب في حولي واعيش في الظلام ! اريد الشمس ، اريد العمل ، اريد النور .»

كان لها في الحياة هدفان : الحب والشهرة . عرفت الاول منذ
صغرها ، فكان لها عزاء في مرضها الاخير شخص استاذها في الفن .
و[illegible] الثاني الا في قبرها حيث دفنت [illegible] في الرابعة والعشرين
من عمرها . عاشت قليلاً ولكنها عملت كثيراً . كتبت ليلها ، فاذا
دفتر يومياتها ، ورسائلها تصبح دليلاً على نبوغها . وعبثت في الموسيقى
فحركت القلوب . فتشت عن الخلود في فن [illegible] فخطفها الموت
المستبد ساعة رقت ونشتت عن ادراكه لما سوى رسم [illegible] آخر
حياتها .

دفنت بنت الزهرة ، لم تمسها يد ! ولكن كم قالوا فيها وقولوا ،
غير ان نفسها كانت اعلى من ان [illegible] سهم نفسه الى عدوها وهي
[illegible] صغيرة ، فسكتت ودونت [illegible] يا للتعاسة ! تمر بي ايام سوداء
تجعلني تعسة ، يائسة . كم افتروا من اشاعات اني راحت وصدقت .
مع اني طاهرة كل الطهر [illegible] وعندما افكر بذلك ، ادرك خبث الناس
كيف انهم لا يفهمون ولا يدينون الا بالظواهر . كل هذا يمزق قلبي .
يا لشقائي ! تمر بي ايام سوداء تجعلني تعسة ، يائسة . ارى الافتراءات
تنصب علي من كل جانب مع اني لم ارتكب عملا شائناً نحو احد حتى ولا
نحو نفسي .

• يوميات ميشال سرور

الارسه (٤)

يزعم دي برانتوم ان المرء لا يكون كاملاً ما لم يكن عنده ست نساء :

١ — زوجته الشرعية .

٢ — امرأة فتية .

٣ — امرأة غفلة .

٤ — امرأة تقوم بتدبير المنزل .

٥ — امرأة اهوائه وطيشه .

٦ — امرأة يحبها وهو يركض هائماً وراءها ولا يدركها .

الا يمكن للزوجة الشرعية ، اذا كانت حكيمة ، ان تقوم وحدها مقام اخواتها الخمس وتضم الى صفاتها صفاتهن جميعاً ؟

« ليس الحب هو العدل ، لا . ولا هو الواجب ، حتى ولا هو اللذة ، انما هو يضم في حناياه كل هذه الاشياء . » «فرار ليرت»

صحوة

التعليق على هذه الفكرة، ان هذا الشاب قوي التفكير، صحيح الحياة لان له عشيقة، (هو اقل عملاً وعاطفة مما يتوقع).

احدهم لا يستطيع ان يكتب الا بعد ليلة حمراء.

رأي نيتشه في الطهارة: هي مسألة نسبية. قد تفيد الطهارة بعضهم، وقد تقتل البعض الاخر. تحكي بعض من قصة شاب طاهر عادي، واضطراب البعض الاخر لهذه الطهارة.

جوابا لبعضهم

عدم بعض الناس لانهم ليسوا اهلا لذلك. على الكبير ان ينازع كبيراً مثله. انا: الشفقة عليهم.

يطلب مني البعض احياناً ان ادافع عن نفسي تجاه بعض الحملات، وارد عدداً من اعمالي لابعد عنهم الشك، او اساعدهم على فهمي. ولكن، متى كان الخالق يضيع وقته بشرح للناس دواعي اعماله؟

٦٨

فقير

هو اليوم فقير . وذلك ليس لانهم سلبوه كل شيء، بل لانه رمى بكل شيء بعيداً عنه . وماذا يهمه ذلك ؟ هو متعود ان يلاقي . وليس غير الفقراء لا يحسنون فهم فقره . (نيتشه)

العناد والوفاء

العناد يدفعه للتشبث بشيء يرى وجهات الضعف فيه . وهو يسمي ذلك وفاء .

السبت ١٠ تموز

اميل بنوع خاص الى الشابات والشبان الذين تسعدني الظروف فالتقيهم في طريقي . ان دائرة حياتي تتسع او قل تكتسب في عمقها ما تفقده في انبساطها . عندي كره للعلاقات المريبة الزائلة فنفسي تريد ان تكون نفوساً اخرى عديدة غاتها في الشكل وفي النزعات . وفي حين اتساءل دائماً ان لم اكن احب شخصي وحسبي في من احب . لو عرفت هؤلاء بما يجيش فيهم هل احتفظهم عند ذاك بهذه العاطفة في قلبي ؟

١٥ آب ١٩٣٢

الحب الابدي الوحيد... كلمة طالما سمعتها تتردد على شفاه الناس.
وكم من مرة دفعتني اصدقائي بتنقلاتي الغريبة الشاذة، ولاموني لما
اوله من شقاء في قلوب محبيّ، اذ ابتعد عنهم او ارجع الى سواهم، ولم
اكن اشرح لنفسي سبب تغيري هذا الطبيعي. ولكني اراني الآن
كأني مسير ضد ارادتي بيد وضعت امام عيني.

مبدأي في المرأة المثلى

ان نفس الانسان الفتية، المتشعبة في مراميها، ترغب في كل ما
يجيب صدى رغباتها. وميولها عديدة فهي تحب الموسيقى، فترتاح اليها
مجسمة في الآنسة ب .. هي تحب الحرية، فترتمي في احضانها مجسمة
في الآنسة ن... هي تحن الى الاوساط الادبية، فتجتمع اليها مجسمة
في مدام ى...

وهكذا تتنقل كالفراشة. وان لم تحن في حب فلا تستطيع ان
توقف كل عاطفة عند، وكل دقيقة من ايامها على عبادة شخص واحد.
وهكذا نحن متقلبون ... وهكذا انا متقلب.

يجب ان اشرح ذلك لصديقتي ا.. و تنتظر ان تذكرني به هي
نفسها، لاني قلت لها في آخر زيارة لك بذكريات لثاني مرة ملتقى، كي
احدثك عن صفاتك عندي، اعني الصفات اللواتي رافقتك في
احتلال قلبي.

١٧ آب

هل يولد هذا المبدأ عذابا في نفس من يسير على هداه ؟
ولكنه ايضاً يعذب بمرارة اشد اولئك الذين او اللواتي يطبق عليهم وعليهن .

مساء الاثنين

ألم اختبر ، في الشهر الاخير ، مرحلة كان من خطر فيها ، خطر الحب الوحيد ورفض الزواج ، عندما تعرفت الى الآنسة وال خ ؟ ولا ادري ألسعادتي ام لتعاستي تركت هذه الآنسة بيروت ، مبتعدة عن حياتها الادبية ، مسيرة بإرادة رؤسائها في تلك الشركة التي كانت تشتغل فيها . فقد ارتأى هؤلاء ان ينقلوها الى حلب ، وكان عليها ان تؤمن وظيفتها وان تذهب ، وكان علي ان ادعم قرارها من قرارنا الاخير يوم فكرنا بحياة موفقة لنا سعيدة .

ولم تراني افكر دائماً بها ؟ لم ارافقها الا قليلا ، ولم اذهب اليها الا نادراً . ولكني لا ازال ارى هناك اشياء عديدة تحملني الى ذكرها دائماً بحنان وشوق . فهي كانت تمثل عندي الفتاة التي ابحث عنها منذ زمن بعيد . فهي تحسس اكثر ميولي وفيها تمثلت رغبات نفسي العميقة . هي حرة ، حسناء ، ذكية ، تبعث راحة مما تعكسه

وتسكن منفردة في بيت صغير ، وحيدة لا رقيب عليها غير نفسها ، ولا مشير غير قلبها .

كنت اذهب اليها في دقائق شوقي وساعات حزني ، في تلك الاوقات التي تجد النفس فيها حاجة الى الانفتاح ، الى السلوى ، الى التعزية ، اذهب اليها ساعة المساء واسند رأسي الى جدرانها الحارة واحدث واستمع واسر لان هناك من يسمع ويفهم ويحدث .

كانت نوافذها تجمع عندي معاني الرفيقة . الزوجة ؟ — الشامة . هي لعقلي ، وهي لحسي ، وهي لشرابي ، وهي لعيوني ، توقظ في الامل والرغبة والسعي .

ومع ان كل هذه النزعات لا تزال تكون سائرة الحاضر ، وهي لم تعش للحياة الا ساعات قصار معدودات. لذا لا ازال اشعر ببعض الانكماش والالم عندما امر تحت نوافذ غرفتها ، تلك النافذة المحبوبة التي توقد في ذكرى حبي .

١٤ – ١ – ١٩٣٣

قد انتهيت من قراءة (جرم وعقاب) لدوستويفسكي . ثم
احسست [illegible] بعض هذه [illegible] ؟ هو [illegible] شعور
بالتفوق على الناس، والسمو على حالتهم الوضيعة، [illegible] في سطر
[illegible] حتى لا افق
ولكني ارى كل شيء [illegible] في اهواء، [illegible] كل هذا هو
عمري [illegible] وضيعة . [illegible] بكل هذا، وارضى
[illegible] ، واكم [illegible] ، واقتل قلبي ؟ كلا ! ثم كلا ! ثم كلا . ما
[illegible] ؟ اي اله واية شريعة ؟
اريد ان [illegible] على الاحداث ، [illegible]
[illegible] ..

هكذا تكلم صديق البطل ثم ارتكب جريمته بقساوة هائلة ...
[illegible] عند جريمته الاولى ، بل اراد انجاز غيرها واخرى . ولكنه
[illegible] عنده بعض الاضطراب في [illegible] ، [illegible] احد
يسمع صوت الاله [illegible] : من [illegible] ؟ [illegible] كأنه [illegible] فكان
في لغته الصريحة [illegible] الانسان [illegible] كل او ما يكون ..

[illegible] ، كيف اوفق بينه وبين
[illegible] غيري ، وعطفي عليه ، [illegible] على كل هذا [illegible] ذلك
[illegible] حتى [illegible] ولعلي [illegible] .

٢٧ ت ٢ ١٩٣٣

ارى صديقي متحوفاً مني ، فقد اصبحت امقته في روحي وفي اعمالي وهو دائماً يدعوني الى هدوء ، الى الطمأنينة ، الى الاندماج في الحياة المحيطة بي . هو يحدثني عن كل ذلك ، وفي صوته رقة الاخلاص ، وفي توسلاته عذوبة الوهم . احـاول انا ان ارضى في البحث معه في ما اعمل ، وهو سرعان ما يعشق مداهي [illegible] عن لا رأى صامتاً واني اتعس [illegible] ما يحدث عن تعذيبي ، ولكن ، كم من مرة قرأت له قصيدة [illegible] شكاوى ايكار ، وجعلته يحس مع هذا البطل يوم ترك السجن [illegible] في الفضاء متحدياً لنفسه [illegible] من الشمع ، وما زال يحلق ويتغنى بالسائح الجو امامه ، [illegible] من عينيه حتى اصبح على بعد قليل من الشمس فسال [illegible] وهبط . هبط الى عباب اليم وعلى في لجته [illegible] في نظر من يشاء ! ولكن ما احلامه في نظري ! [illegible] اليهم

يجب ان يعيش الانسان في وحدة حياته في هذه الدنيا ! دون الحب ، [illegible] بدون احلام ، لا لذة فيها لي . اعيد ذلك لنفسي لاني بحاجة اليه بعد صدمتي العاطفية الاخيرة ، انا بحاجة ان اقنع نفسي [illegible] الحياة واسعة ، ان الانتحار ضعف ، ان القوة في استغلال جميع الاحساسات مهما بعدت في غرابتها القاسية .

عند عودة صباحية

العقل و التعقل هذا ما اسمعهم يرددون في كل ثانية . واني لعجب مما يعوون انحطاطا يمازجه بعض الاستغراب . فهذا هل هذا العقل الذي يتبجحون به ؟ اراه دائماً يصادم احساس ، ويوقف القلب كلما رغب في الانفعالات . ولذا نرى تضحيات بعض الاذهان له . يجعل السمو ضرباً من الجنون ، واعتبره نوعاً من السخافة ، والعواطف نوعاً من الحمق ، هو يقبح ما هو اهل لان يحب الانسان لاجله .

العقل يفرض على الانسان حفظ كيانه ، هو سعي ، يجعل الحياة ثقيلة تعص على اعصر اوثانه ، ولذا نرى الحب القوي يحتقره ، لان من يحب لا يعود يعيش لنفسه فقط ، فحياته تصبح واسطة للحب . وهو لو وجد اليه سبيلا احسن منها يرد احباءه ، محبوب ، فهو عندئذ يهمل حياته الدنيوية هذه ، ويصرحها جهاراً وسماعاً . ما احسن قط سعادة ولذة منذ رفضها عقلي ومنطقي .

(اقتباس)

الاحد مساء

بالامس انفرست عدت بي ا ... تذكرني بوعد لي اصدرته لها منذ زمن بعيد ثم حنثت به ـ عن زعمها ـ وابتعدت عنها، واردت ان اكون مخلصاً في حديثي، فكلمتها عن وعد لي جديد اصدرته عفواً وبلا بحث او رغبة منها فكادت تهزأ بي وصحت من حنقي امره شتاتاً هنا وهناك، وكادت تخرجني في حمقي . ولقد تذكرت ساعتذاك عتاب بعض اصدقائي، وسخطهم من تقلباتي الدائمة . واما اليوم افكر عما ادافع به عن نفسي او بالاحرى افكر لشرح نفسي للغير وارسال اضواء جديدة على المعتم من حركاتي وآرائها .

الاربعاء

لقد وفقت الى ما نشدت . ونشرت في عدد [illegible] من مجلة [illegible] مقالاً احببته ووعدت ... لي رغبة شديدة في ان اضعه هنا في دفتري .

وعد

وكان ان تخيلت نفسي شيئاً من مثل الاعمى ودفعت نفسي الى وجودك واردت هذا الوجود الى عربي . كان كيف ... بحث الى صمت نفسه من هوته فترددت في تصعد عتاه ساحة السفينة ، وكان ما منعته من عذاب يدفع بي الى مدب مثلي فوجدت في طريق شيء ، وكان في صدوح يعد على كل مخالفة بعيد فصدت الصدح يحسن في دواخل الى وجدت ان بعد بين عينيك نادراً وبعد فقدت : عن في نفسه ، مهمة هؤلاء ، وكشف عن بي ساعات من الجنون ارتفع بها الى الخلود احياناً واهوى من هوة الانتحار احياناً اخرى ، وكم كانت تخدعني نفسها جنوني فترفعني الى حدثي وتعيدني صدى انتحاري وشيء مني الى ما فوق الحياة ، الى سماء الخاصة .

ووضعت نفسي في بعض ساعات جنونها فرحت معك نطوف شوارع ليلة عشنا بها حيث ما من بر وعبرنا الحقول والغابات نستمع الى صبا ينشدان اغنية الحب والامل ، ووقفنا على الصخور عن شواطىء البحار واردنا في الغرف نستمع الى موسيقى عذبة اللحن عميقة الحسم ونعرت شفتانا الى ملاك وددنا لو دامت العمر وتعرى جسداه الى سكرة الوصال ويبكي قلبه معطفا ونلتف

الموعود وبعد امتصاصها : فكنا في بعض الساعات انت انا وانا انت .

ولكن مرت بي اوقات عدت فيها الى ضعف تحت حبك ، وفي دقيقة كنت فيها سجين في عالم احلامي سألتني ان احدثك وظيفة شرعية لحبّي . وكنت لا ازال اعتقد شيئاً من مثلي الاعلى فرضيت وصعدر مني وعد يومذاك بما رضيت .

ولكني لست ادري من أين في حبوط احلامي بعد ذاك الوعد . ربما مرور اسبوع بعد وعدي بسماع شواهد حب الاول صدى هذا الوعد . ولكني لست ادري . كنت بكل مرة اسمعت تطمين مني ترديد كلمات الوعد اشعر بان هوة تفتح بيني وبينك . كنت اخاف ان يكون الوعد قد اصبح كل ما ترغبينه فيّ .

وكم اردت حينه في مثل ذلك عندما مرت احلامي الاولى — اي انت في عهدنا الاول — وابتعدت عنك مخلصة في كيانك الحاضر .

وكانت صدمتي الاولى العميقة التي ارتحت لها ذهابي وتحولت من شدة تأثيرها الكون في عيني . كيف تبدل وكيف تغير ؟ كيف نفسي وكيف انقضت ؟ كيف اصبحت وماذا صرت ؟ ذلك ما تقرئينه في اليوميات التي تلي هذه الكلمة .

ومضت سنتان . . . هجرت فيها اوهاما اشد الجهود في عذاب والعمل أكتب وأكتب وأكتب وليس سوى حبي او من آخى حبي عرف بما كتبت .

وكان يوم لا استطيع ان احرم فيه رأي الـ... في ساعة كان قلبي فارغاً من حب مجسم متمنعت بصحبة امين نور من بعده الصنم الذي احطه .

مدت حياتي ... و حسده هداية لي .. كل ما تمنت حلمي الاول الذي حطمته ... حرمني الصخور من جديد ... وسامحت البحر يلتقي الاولى ... ووطأت قدمي المرار و ... ومعي في الشوارع ... واستمعت بلذة مع هذا الامل الجديد الى اناشيد الطيور وموسيقى الا ... ولكن لا ابس من جديد ولا ... الاولى ... ت من و ... حبي الاول ...
ولكن يجب ان تعلمي ان حياتي ... رافقي ... و ... لي شديد الالم ...

ورضيت من كانت نورها فان تصبح هي انا وانا هي ... فتواعدنا على الاتحاد في الحب حتى المات ... وكل وعد ... وعد صدر مني بكل ايمان واخلاص ، وعد ارسلته لاني ... حرا طليقا اهدي قلبي من اشاء .

وبين وعدي الاخير ووعدي الاول ، صدرت مني وعود ايضا عبر ... تكن ... او عدي ... في ... ، ... عن رغبة لها ، وكل ... رافقتها في الطريق ... وصمت ووعدت مثالة .

انت، لامس القرب ... وما لا ازال جاهلا تمام الجهل دافع عيشك [illegible] ببن تذكيني بوعدي وبعض [illegible] ونفسي الى ذكرياتنا الماضيه ، ذكرت [illegible] وعدي [illegible] [illegible] يوم يسمح لي اخلاصي الا ان احدثك عن وعدي [illegible] ... ووعدي [illegible] حتى [illegible] يوم .

[illegible] حتى [illegible] طلاسم كل يجيد بفرقتي ، وعواطف جائشة تتقد في اعماقي ...

[illegible] في الكتابة ــ وعلك عندما تقرئين كتابي هذا [illegible] .

وعدي كان [illegible] حلمت به فنفسي مرتاحة اليه [illegible] . [illegible] ابدأ منذ ابتعدت حبيبتي عن هذا المكان . انا [illegible] ولكن دمعة واحدة احياها في جوى [illegible] من ايام النشر السعيدة

ربما قد يكون حظي اليوم العودة الى عالم الحقيقة ولو لمدة وجيزة

٢٧ ك ١

وتصبحين في الايام ولا تسوعين آمالي فاتبع طيفه في اوهامي وفي احلامي . سأظل دائماً قلقاً تعساً .

الاربعاء ٥

لم اشرع بعد ابداً هذا الشعور ، الذي كان يستولي علي عندما انتهي من لذة جسدية عابرة لا تكون محض نفسية .

والليلة سارحة ... وبعد الساعة الحادية عشرة كنت عائداً الى البيت فشاهدت جارتي المطيعة بعد سهرة ، وهي تخم مسكنة على ماعدة غرفتها .
دخلت غرفتي وجلست الى نافذتي اتطلع بشوق وبتكيف صبر الى جارتي لتي تمثل لي ملكاً طاهراً فيه نقاوة الرياحين وعطور الالوهية .
وقفت اتطلع اليها وافكر ... افكر فيها ، افكر بالتوبة ، بالتوبة اليك يا ربي ، اليك ، اليك يا حبيبة حياتي .
ان الحياة التي رغبت فيها هي التي حملتني على الابتعاد عن محيطي الاول وعلى ترك عقائدي الاولى كلها ، وعلى نبذ كل سلطة ، وعلى الانغماس في احساسات الحياة كلها ، ولكن اني في هذا المساء افكر طويلاً في ان حياتي مثلت لي تمثيلاً عن رسالتي ، ولقد يكون بامكانك ان تمثليها كاملة هادئة . ساحدثك في الغد القريب عن رغبتي كلها علك تفهمينها فيها تاه فيديني بعض الهدوء الى حوي الزرع .

غفوة

١٩٣٥

انا نائم وقلبي مستيقظ

(نشيد الاناشيد)

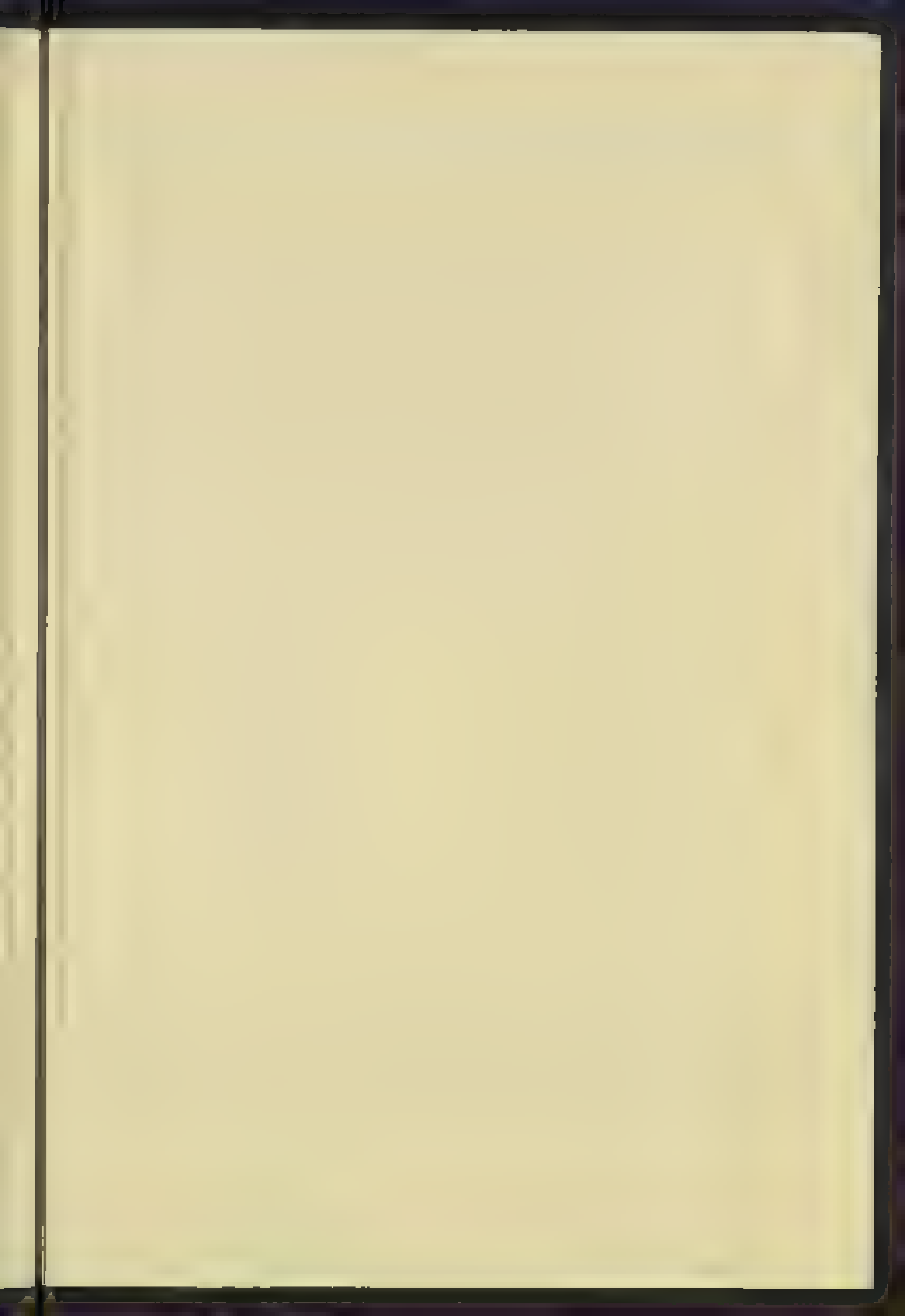

١٩٣٦

انا ونوال

« دنيانا : سرور ،
والصلاة مريدات ...
في صدرنا حتى المصير ،
اوقدتها الآهات .
ثاني : فقدا النوم قرير ،
ما بعده من سبات !..
ما لنا وللمصير ؟
ما لنا والكائنات ؟ ! (١)

---

١) مقطع من يوميات ميشال سرور في اواخر ١٩٣٦ .

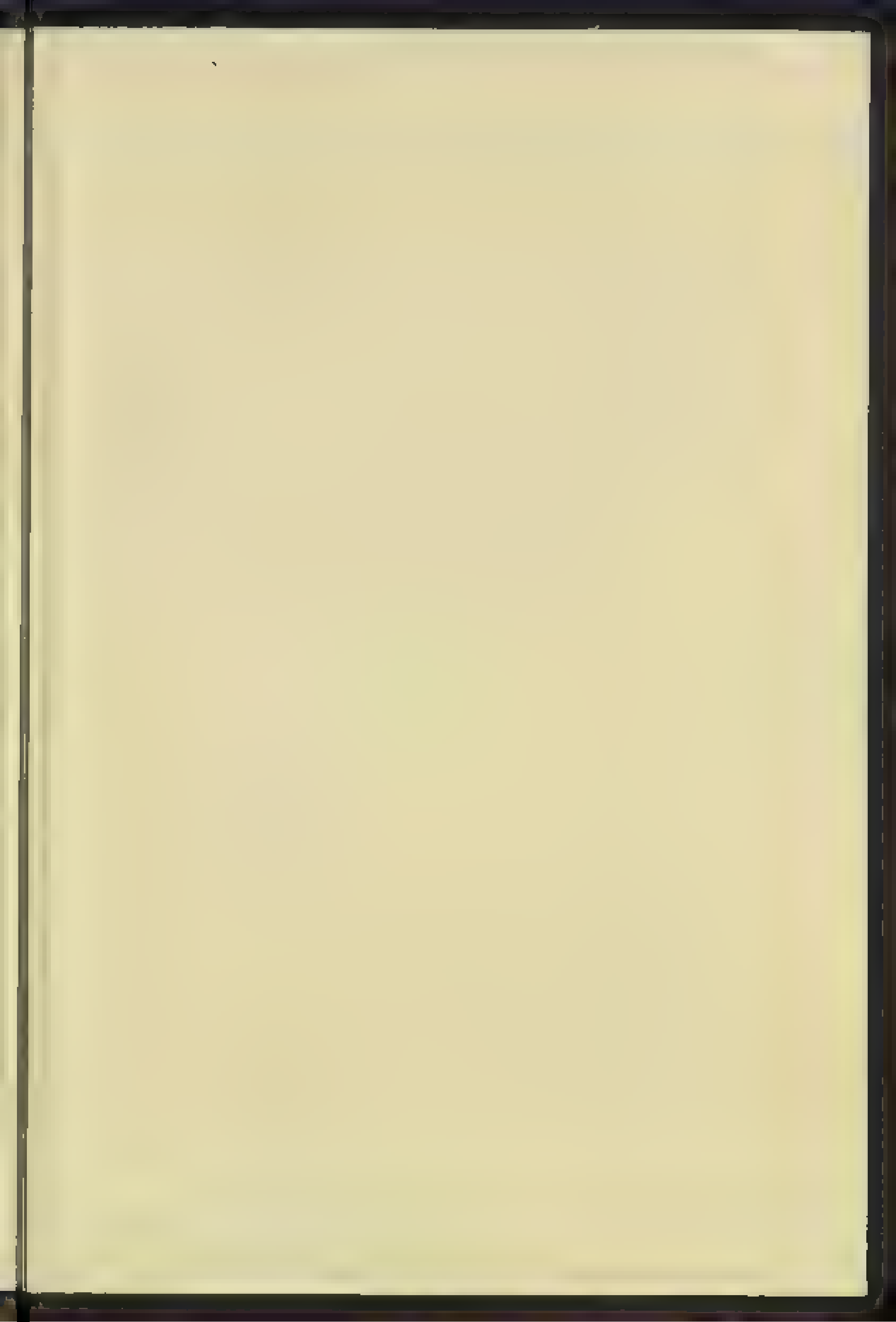

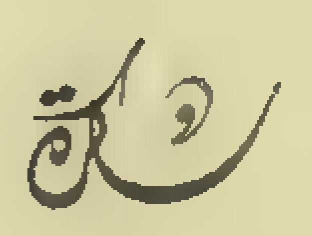

يوم ابدا

اجل ، ان قديسيك قد استأثروا بكل صلة ، يا ربي .
ولكن هناك خطايا تبقى لي وحدي ، وغداً عندما اصبح على
فراش الموت ، مصفر الجبين ، مهمل الوجه ،
سأستعيد في ذاكرتي ادوار حياتي كلها ، واقوم بفحص عام عن
ما جرى لي .
فاحسب بقضائي ساعتئذ ، وان كان الخير فيه قليلا ، فقد بقي لي
الشر بسره .
لقد قضيت ايامي كلها ، يا الهي ، بعد ... اكفر به عن خطاياي .
ولذا فلا ... هناك خطايا التي كنزتها .
لقد كان لكل يوم ... ، يا الهي ، وانا عرفت معرفة ...
ثروته العديدة .

والآن يا ربي
ان كنت لا تقبل في ظلال فردوسك لا شيطان واعدائي !
هناك دومينيك وفرنسوا ، هناك القديس لوران والقديسة سيسيل .
ولكن ان احتجت مصادقة الى كحول وابله .
ان كان فردوسك منكر وحيد ، ان كان فردوسك ولد سافل عاق .

ولد انقفل قلبه على ذاته ، وقسا وجهه على غيره ،
ان كنت حقاً لم تأت لخلاص الصالحين، بل لنجدة هؤلاء المساكين
فانا املك يا ربي ، انا هنا ان اعست منهم في كل مكان .

عن «اصغي يا ابني» لبول كلوديل .

٣ ايلول ١٩٣٦ باكراً في الغابة

السكون كله سكون ...

زقزقة ناعمة متقطعة لعصافير هدهدتها نسمات باردة فاستفاقت تفرغ اجفانها على النور الطالع .

وحفيف اوراق الصنوبر تميلها هبات سوْرة فتدغدغ احراجها الحادثات .

والدوالي ، وقد اثقلتها العناقيد، تلبي نداء الارض فتحنو على ترابها .

كل شيء هادىء ، توقد سكونه في نفثات النور على ما استكن من الوجود .

نفسي قلقة ، ارقتها طوال الليل ذكريات حلوة ، ممرعة ، مرتاعة .
هجرت الناس المسطرين الى بقعة نائية ، الى وعي حالم ، الى
دنيا احس فيها الاخاء والروح في الوجود .

سكنت اعصابي ، سكنت شهواتي ، وعمت آلامي في نظراتي التائهة

من اعالي الجبل ، من اعالي الشلال المسطور ، رن في اذني صوت
مسكر يشدو الى العمل .
« يا بواب من عيونك تعد في ؟ »
الروح الشمس ، روح الكون ، مسك الخالدة يا بواب ،
جمعت بين رغبات قلبي وهذا الصوت الساحر .
ابو بواب ! « انا كنت احب الحياة وطيب حياتك تدعي ! »

تعاودني الدموع ، فاحي السحر ، وبداي للانسان قطرات الندى ،
ندى الفجر على الليل الذاهب .

ايام مضت ، وليال تقضت ، وانا لا يستقر لي حال .

بكيت سعادتي الراحلة بدموع ما عرفتها كبريائي من قبل ،
ثم جفت الدموع في مآقي فصرت آلامي ، وحرت في نفسي وفي
جسدي ، وضاق الكون في كياني ، فانا واع ، بل وانا نائم يقظ .

انا لاصحابي في همومهم وحديثهم ، وانا لواجباتي في كل مقتضياتها .
ولكن ، اما ست انا ، في فترات من وجودي : انا نلحم بقعان ،
وانا للذكرى نشوان .

اما انت نوال ، انسا لذكراك كلما عدت نفسي الى حقيقتها ، انا
لنظراتك كلما افلتت عيني من مقيداتها الكابية .

ثم صامت راقت سومة حديثي ، وذكرى حالمة ترفرف في جو
حياتي .

على اجنحة هذه الذكرى اهيم الآن فوق سماء ايامي الاخيرة ،
ومن حشرجة اعماقي اشد موسيقى لبها المدرجة المؤلمة .

بعد غفوة صباحية

رق صوت هذه الموسيقى يا حبيبتي فطوت على صمها .

وما دريت أنغم مؤلم حزين ام لحن ممزوج بجوك ، ساعة استولى على وجودي الواهي ، فتسللت الى سكونه وعبرت على حنانه .

حلمت .

وتراءى لي ، فيما يرى النائم : عيناك ، وجهك ، ابتساماتك ، انا الذي ما عرفتها في الحياة الا قليلا .

وكنت عاطفة ، وكنت راضية ، وكنت مشجعة .

أأحدثك عن حلمي وانت كنت ملهمته ، وانت اوحيته .

اجل ، احدثك ، لا اخباراً ، بل تذكرة وتعزية .

كان لك حديثك اليومي ، يا نوال ، تطلعين على جماله وتشمسكين وجهه ببهجة ساذجة حلوة ، اشعر ابيها بكل جوارحي ، والعقل يقرها قبل العاطفة .

فانتحتي الي من حديثك الثاني واعطيني بخاطر عطفك .

كان نور وجهك الطفل ينشد :

« ميشال ! فقدت صحبة حبي لك وصحبة غرامي بطفلك . هو الآن في احشائي ، في نظري ، في روحي »

وهو ايضاً ، يا نوال ، متغلغل في سماء وجودي ، في كياني الكامل .

وتابعت النداء :

« طفلك هذا احببته وحدي ، وددته لي فقط عزاء عن ساعات تعيسة ، رغبت فيه كي اضمحل في جسده جسدك ، وفي روحه روحك .

ولكن طفلك الثاني الذي كان منذ ولادتك مبدأ حياتك ، ومبدي ميولك ، هذا الطفل ، يا حبيبي ، هو شقيق طفل الميت بجانبك ، الحي فيَّ وفي احشائي .

كلاهما وليد ليال تشابهت بالحسرة والالم والتنازع .

مات وليدنا في الجسد والعاطفة ، فحي وليدنا في الروح والميول والعقائد . »

وصمتت برهة .

وكأن وجهك يسحب شيئاً فشيئاً ، ويظهر مكان خياله ، طيف وليدنا في الدم ، روحاً ، شعلة من نور ، شعاعاً من الرهبة . ظهر مناغياً مبتسماً أخذ عزاء ابيه ورغبة امه .

افقت والشعاع المنسحب في عيني ، والشمس تنير الكون .

تعزيت . ولاول مرة منذ بلوغي النبأ المشؤوم علتني قشعريرة ، هي قشعريرة الوحي ، قشعريرة الامل والعمل .

طفل الدولة ... وطفل (*)

منذ الف وتسعمئة وثمان وثلاثين سنة تقريباً حملت مريم يسوع، فتمخض رحم طاهر اخرج للكون بعد تسعة اشهر اعظم شخصية عرفها التاريخ .

وبعد خمس سنوات تقريباً احسست في سماء وليد السنة الاولى من الحرب الكونية وان لسان الشرق - احسست قلقاً واضطراباً لم اتبين يومذاك جيداً مصدرها العميق. شعرت في ذهني بهذا الاضطراب فتحمس قلبي وجاشت عواطفي ولمست ان قوة ما كانت تجدني ليولدها وحده او يسترضيها، تطلب الاهلات ، تطلب النور ، تطلب الحياة .

ورحت افتش في زوايا الدور التي كنت ادخلها صدفاً ، وفي منعطفات الطرقات حيث كنت التقي شباناً وشيبات قريتي منهم تلك القوة المباركة التي كنت احملها ، ورحت ابحث هنالك عن ارض بكر خصبة ازرع فيها بذور فوزي علها تنمو مزدهرة وثمر يانعة .

ومنذ ذاك الحين ما مر عيد الميلاد سنة الا وقفت حائراً مفكراً اسائل نفسي ماذا حل بتلك البذور واين مولداتها .

---

*) قصة مدعمة ابتهال سرور كتبت في عيد ميلادي .

* * *

ووضعت العذراء مريم طفلها الالهي في ليلة قارسة وفي احوال حرجة . كان ذلك في وسط الشتاء وفي موسم الاكتتاب الجامع . لم تجد لها مأوى في منزل بيت لحم فقادها الفقر والحاجة الى مغارة منزوية فدخلتها . وهناك على لهاث البقر والحمير وفي مزود التبن توجعت ثم احست بحياة جديدة قربها ، حياة هادئة وديعة فتناست اوجاعها وعطفت على تلك الكتلة من لحمها ودمها ترنو اليها متعزية . حنت اليها لانها حملتها راضية وحملتها تسعة اشهر وغذتها من كيانها . وكان يتراءى لها ايضاً خيال الالوهية متجسمة في طفلها فزادت حباً له واعجاباً به وبنعمة الوحي ، وكانت الملائكة تنشد المجد لله في العلى . وجاءت الرعيان بشاءاتها وهداياها فكان سرور وكان امل وتثبيت عقيدة .

وهكذا انا

وافق زمن وعيي ايام قلق وحيرة . امواج من التفكير غربية وغيرها صحراوية ، مدنية اوربية صريحة تصطدم بتقاليد شرقية متأصلة ، عقول محتومة وغيرها متفتحة لكل هواء ، مبادىء اخلاص متينة تلتهب بنار انانية غبية موروثة ، اصوات ناعمة تهمس فيسطو عليها صحيح الحناجر المرمة : كل هذه الاجواء المتباينة كانت تعلو شمس الشرق وتناضل لتقاتها متجمعة نضالها في اكتتاب عام .

واشفقت على طفلي ان يولد في احوال كهذه ولكن ما حيلتي والبذرة كانت قد نمت، فشقت الارض طبقة بكل عافية وظهرت للقدر وانطلقت في الفضاء .

كانت فكرتي بعيدة عن كل زخرف يسرع تنبتها وانا والد فقير عجب الصمت . فايقنت ان عالمنا بمآزقه الضخمة وعلاته واحداثه سيقسو عليها ويبعدها عنه، فحملتها كما حملت العذراء طفلها ورحت انثر شتاتاً منها في قلوب محبة صامتة فاحبتها واولدت فيها قوة تزيدني املا في قولي .

وهكذا عطفت على وليدة ليالي الصاخبة فاحببتها لاني قاسيت حملها وعاشت فيّ وعشت فيها . وقرت عيني مدة لاني تمثلتها طفلاً فاذا بها شابة ملأت ما حولها شبابا وطافت شرقها الجميل مبشرة بالجيل نهضة عروقها العمل والمحبة .

نصف الليل • ايلول

ظلام حالك يحيط بغرفتي من كل جانب .

الناس نيام والاشياء ، الا قلبٌ فاض به الشوق والحنين فاستفاق ينبض نوحاً وقلقاً .

يحلو لي ان اشعل النور واطفئه في فترات قصيرة متواصلة ، ولست لاتبين حقيقة هذه اللذة ... ولكن لا : في هذه الانتقالات الصامتة اري صورة لعمري : سواد ليلها هو غياب نورك يا من كنت سراجها الاكبر وشعاعها الاعظم .

منذ مدة طويلة وانا في حلكة سوداء .

لا شيء يوقظ فيّ املا كامناً ، او يرسل بصيص نور في جوف الظلام ، حتى الي صامت مكبوت . لمن اشتكي ، والكل يجهل ما بي ؟ واما سبب جهلهم ، انا الذي أخفيت هذا الشطر من حياتي عن احب المقربين الي ؟

لو جئت اقول : ماتت نوال ، مات طفلنا ...

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

تكسّر القلم في يدي ، وضاق النفس في صدري .

آه ! ما أعاني ! حسبت نفسي شديداً ، أقوى من احتمال الذكرى أعيدها مؤلمة كما هي ، وأتصورها حية كما شهدت هول فظاعتها ، ولكن لا : اضطراب في اليد ، وجفاف في الروح ، ضباب في السماء ، ودموع في العيون .

بكيت ، بكيت طويلا ، وشبعت من حسرتي ومن تصوراتي الهائلة .

أنا وحيد في ألمي يا حبيبتي ، فمن لي به ، ولا من أفضي له أسرار قلبي !

نوال ! طفلنا ! مكرتك حمل أشبه الكون طلاً وتقليداً .
عاشت نوال سنيّها الثماني عشرة في نزاع دائم بين نفسها ومحيطها.
ثم التقتني في منعرجات طريقها ، فعرفت نفسي ، وهجرت محيطها.
وكان لنا سنتان من الآلام في غبطة الخلود .
وكانت ليالي هوجاء ، وكان تمسك باللقاء ، وكان إحساس في
الأعماق . وسارت النفس على هواها بوقت واحد وحب آخر ، وكان
وصال تأصل واستق ، وأخيراً كان طفلنا تنمو بذرته في الوحدة ، في
الآلام ، وفي قليل من الأمل .

تجيش نفسي ، وتعود الى رؤياها في الغاية .

هي قوة الاشتياق بأنوار تدفعها نظراتك الحلوة تشجعني على العمل.

احيي حكمتك الام المفرطة في طفلنا الجديد في عقد تجمعه

ذكريات امه وما تبقى من شغف ابيه .

وأحلم حساً ، على في الفضاء الواسع روح تحنو على قوافيه !

١٩ ت ٢

ما هذا القلق المستولي على وجودي ، الآخذ بمجموع قواي ؟
في نفسي حرارة الايمان ، وفي جسمي ضعف واستسلام .
تحن روحي الى « أنا » في الماضي ، فأعود اليه راضياً مطمئناً .
ولكني ما أكاد ألمس طياته ، وأغور في سماته ، حتى أهدأ مرغماً .
صفحات رافقت عمراً تبعث حسرة ، وتجمع رغبة ،
وريقات اصفرت قدماً وجفت أرواه .
أفكار ترجرجت ورمت شتاتها على الورق ، وخيال اتسع فتهيلت
صوره في الذاكرة .

هذا هو دفتري القديم ، هذا هو مدفن أحلامي الفتية .
أأعود الى ذكراه اليوم وحياتي ملأى بحاضري وهمة بمستقبل ؟

الشيخوخة هي عودة الانسان الى امه ثانية وله وفي رحم أمل ، وبين ضلوعي خفقان !..

اليك عني ايها الصفحة المشؤومة ، وابعدي عن خاطري ايتها الخيالات الراعبة :

يا روح والي ! هاأنا اسكب الخمر على حرارتي ، على اشد بهسة الشوق فاحمل واعبثي .

... وكنا عندي من زاويتها في تلك القهوة المعتمة الا من نور القمر ، والساحة الا من مرددات الامواج تلاطم الصخور وتنام على الشاطئ الهادئ . كنا عندي بنشوة غرام تشد روحينا المتعطشين .

هناك ، في زاوية الوحيدة ، راحت الامواج في حكايتها الابدية تلفظ النغم ، فخطرت هناك مصيبة ورعشات تحرك في المفتوح من فؤادي والرجف من كياني .

اخبرني عن ثار العصور وسالف الازمان .

منذ الاجيال القديمة ، منذ البدء للكون ، كانت نفس هيولية تفتش عن شعاع يضم ويجمع . تاهت هذه النفس في اثير الشوق وعصف العدم ، وظلت تهيم هائمة حتى نزلت اخيراً في كائن جسمي فأنست وعشت والي ...

تأنست ، ولكنها ظلت ناقصة راعبة .

١١٠

ولم تكمل ملعبتها حتى اوحى الاله الشامل بنفحة من روحه تجسمت فيك يا ميشال ، وحامت ترنم فوق عــودي فاهتز ســائري ونسمت من عطق الابدية فارتمت على حبالك الحنع وطرت . طرت وسبحت ، ونمت واستيقظت ، وغرت وعمت . . . انت لي وانا لك ، انا لك وحدك يا وليد امي واحلام لياليّ .

٢١ ت ٢

وكانت سكرة في العمر عشناها كيانا على غير وعي ولا امل.
وهل العمر الا سكرة بأ توال ؟ وهل ترامى لنا غير هذا في
تلك الساعة من النشوة ، الاولى من نوعها لي ولك .

ذكرت صمتنا عند ولجنا باب غرفتك، وذكرت تأملاتنا المضطربة
وشفاهنا المرتعشة .

فذكرت النور قويا منعما يحجب رؤى أنوثتك عن ناظري ،
وذكرت ضجيج الخارج يلطف من نبضات قلبك على مسامعي الهائمة .
وذكرت ذلك ، ثم دخلت في ديجور من الظلام مبير .
اطلع المتكون فاحتضنتك ، تقرب مني ، تلاشى الضجيج غير
حركة فؤادك على صدري .

هبها سرير ،
والصلاة عريدات . . .
في صدرها حشى امصير ،
اوقدتها الآهات ،
نامي ! فغنا النوم قرير ،
ما بعده من سبات !..
ما لك وللمصير ؟
ما لنا والكائنات !..

ضاع همسي في صمتك ، وتغلغل حكياتي في كيانك ، فأنت أنا وأنا أنت ...

وأنا وأنت مضمحلان ، مجتمعان في وليد منك ومني ...

آهٍ تعالي ... جدران من أثير تحيط بنا، وجوق من الملائكة يحوم علينا .

نحن في أبدية متجددة ، نحن أجنحة السعادة ، نحن الكون بل نحن لا شيء بعد ، نحن في غفوة اللاوعي ، نحن شعر صافٍ، نحن الإله .

وأفاق النهار ، وأطل النور على وجهك الصبيح ، وتمرت الأمومة في عينيك ، فضمتني مرتشفاً صلوعي من حدقتيها .

وكل وداع ما أحسسنا به لوعة الفراق قط ، فذكراك في وصورتي كلها في أحضانك .

عاد المساء ، عدت الى حالتنا ، وسكنت ضجيت النهار الحس جسدي ، وأعاد من انفتاحه يومذاك شهواته ، للناس ، للعثرات ، تكشفت عن نفسي دعدعها ، وحبوت على جسمي أهدهد معانه

لنجي .

التقينا حيث عهدنا بالامس، هذا الهواء هواؤنا وهذا الجو جونا .

. تفتحي نوافذ السور الحديد ، و، ستتقي الجو من عبير الشوق.

كل شيء كما تركته في الصباح .

على سروك عربدة الندامى ، وعلى الزجاج همسات الآهات .

على وجهك آثار الحب ، ومن صوتك حرارة العابدين .

ملك هذا في عصر نعيش في نهارنا اليوم ويا ليتها العمر كله !..

الحبس

رافقتنا ايام حلوة ، يا حبيبتي ، وخلدتنا بين عذاب ونجوانا صباحها ونحن بقعتان بعد لم نشعر بثقل المادة ، ولم نسمع دقائق اليوم العصيب .

اني احبك الان يا نوال كما احببتك في الماضي بل اكثر .

ولا اظن المادة من ضروريات التقارب .

فانت اليوم ، وجسدك البالي تحت التراب الجامد ، انت اقرب الي منك يوم كان جسدك يختلج بين يدي .

هو ساحر كان يوقف احيانا تيار فيضان العاطفي ، او تثقل عنه وعثاء النفس فتتلاشى وتنام معه الروح .

اما الان ، فما في حولي ليل نهار ، وروحي مرفرفة ابدا فوق تلك البقعة الصغيرة من الارض التي تضم رفات الحبيبة . يخور الهي يطلع من مدفن احلامي ، من قبرك ، فيلتقي اثير حسي وجسدانا حليقين ان اجوز الى اللانهاية البعيدة .

« الاجساد يفتش بعضها عن بعض »

ربي احن روحي حيث هي عزاؤها هناك ، واملها والحياة !

صباح في السرير

يا هناء هذه النظرات التي اطلت على طوال ليلي هـذا ، فآزرتني واسعدتني .

كنت ارهب مراراً اهوال الملاحقة ان أرمى كعليل بكل شيء . فهو يمحو الحب الذكريات واقناعها ، ويستأصل من اعماق اعمق العواطف واعزها .

كنت ارهب ذلك ، والاقتناع به لا يخالج ضميري . وجل همي مع من اتصلت بهم او احترمهم كان ان احتفظ بهم احيـاء . آه ! كم كرهت الموت لي ، وكم سعيت ان ابعده عن المقربين الي ، حسرة من الذين كانوا يمشون عنه راضين ، ويركضون اليـه بملء ارادتهم ، ودافع يلمسهم .

ما زال الانسان محتفظاً بوجوده الجسمي ، عرضة لتقلبات الزمن والطبيعة ، فانت قادر على نسيانه ، مستطيع اقالته من اجوائك العالية.

هذا الجسد عينه الذي يسمونه حافظ الروح هو هو الذي يولد فيك احياناً الكره الى جانب الحب ، والاحتقار الى جانب الاستسلام الكلي .

نسيت او تناسيت « ليلى » ، و « هبة » وغيرهما كثيرات ممن ارقدن في عاطفة غير مائتة ابداً ، واصبحت اليوم اعيش وذكرى

«ايلين» لا تقص علي مصيبتي، بعد ان اصبحت تعيش تحت سقف حائل بحسبه الزوج، وتهزهز امامه تعاريد امل جديد.

«ايلين» كانت تعيش والانتحار منها على قيد خطوة، حتى انها ولجت باب لحته مرة، ووجدت ـ او اعادوها ـ مرغمة، آسفة لعودتها. كنت اخاف انتحارها، صباً بقية امل امامها في هذا الوجود

الاجساد لا تحمل الحب.

ولم اقرأ ابداً انتحار روميو على قبر جولييت، ووجدتها ما تزال له، ترافقه مدى حياته الزمنية.

«الامس القريب قادتني الاحداث الى امرأة تحتضر. ولقد سمعت الزوج والابناء يبكون، ويتألمون لفقدها الوعي ولمعطى في هذه الساعة الرهيبة.

«مسكينة ماري! مسكينة حبيبتنا! في تردد اسماء لغير مسميات وتهذي وتهذي ...»

وقادني الفضول الى الاستماع لهذيانها. فاذا اسم «موريس» يتحشرج في رمقها الاخير، واذا في المسها تهتز للفظ هذا الاسم، واذا اجفانها تتطلع الى ما حولها وجلة وتود لو اخفت هذا الصوت، لو لم يسمعه احد.

ورحت بعد اسبوع استفسر ما ادهشني في ذاك الموقف . فاذا الاخت تسر الي ان موريس هو حبيب الفقيدة الوحيد . وقد فرقتهما حوادث القدر فابتعدا ، وتزوجت سواي . وهكذا ظننا — او بالاحرى كنت ظننت ، لاني الشاهدة الوحيدة هذا الفصل من حياتها . كنت ظننت ان هذا الحب قد دفن ليظهر مبدلا في حياتها الزوجية المثلى ، وتربيتها لاولادها ، وحياتها الاجتماعية المدوية. ولكن تصوراتي لم تصح . انحنت على حياة هذا الحب في فؤادها ابداً وعاشت في ظل عائلتها بعيدة الجسد عن موريس قريبة الروح اليه . تبعده عنها في النهار ووضعت ارادتها في احشائها بعده . ولكنه في الليل كان يدخل اليها من فتحة احلامها ، فتنعم لخياله . وها هي في دقيقتها الاخيرة ، وقد تلاشت الارادة عندها ، واصبحت اللاوعي تناديه ، تناجي روحه ، تموت في اسمه . »

غرق البحر جسدي ، ولكن الارواح ظلت متعانقة دائمة .
هو الحب انكر قوته من جهله ، والانسان عدو ما يجهل .

ورحت آخذة بمجموع كتبي ، يا بول . فات اليوم ، اكثر من كل يوم ، قد اصبحت لي وحدي ، ولخيالي ، اتصورك كما اشاء ، واحيا بذكرك كما تطيب لي الحياة .

١١٨

٢٣ ت٢ مساء

تستولي على الاحلام ،
فاسخف ،
وانعس ،
وانام !

٢٩ ت ٢

انا في سريري اغالب الضجر واقاوم النعاس .

منذ مدة طويلة ، منذ ذلك اليوم، تبدلت حالي وانقلبت مظاهري.

لا يحلو لي عيش ، ولا آنس بمخلوق حي .

في النهار ، يرتعش ساعدي مرات عديدة كلما قادتني قدماي الى مصايف غرامنا وربيع شوقنا ، فاتذكر ، واتذكر ، وفي الذكرى نشوة ، وفي وعيها ألم .

وفي الليل احلام في السموات ، وموسيقى في الخلوات .

تتسللين الى احلامي ، يا جوان ، وكأنك شخص أثيري لا رسم لوجودك ، ولا حدود لتسلطك . فانت على صورة ملك، وهل للملك صورة ؟ انا عاجز الآن عن تصورك مادة كما عرفتك ، غير حسك روح هي أطيب الارواح . وكأني امام هذه التأملات أصبح روحانياً بجسدي مهمل ، ومقيداته وروابطه مهملة ايضاً ، وكل ما حولي من دنيا مخلوقة هو غريب عني ، أحس باستقلالي عنه .

ولكن ، تراني راغباً في بعض ساعاتي الصاحية ان اعود الى ماضي ايامنا ، الى انت وانا في بقعة محدودة من الارض ، وفي وقت معين من الزمن السائر . قلبي يحن احياناً الى حصر هذه الصور في المادي منه ، لكي يتقبلك في كليته: في سماته ، وفي اشواقه ، وفي كل نزواته.

أعود اليوم الى يومياتي الماضية ، فأجد اسمك في صفحة منها بل في اكثر من صفحة(*) . عرفتك يومذاك كما عرفت غيرك . ولكن لا ازال اذكرك في تاريخ تعرفي اليك ، وفي تاريخ انفصالي عنك او بالاحرى انفصالك عني يوم فقدت الوظيفة في حلب . تراني في ذكرياتي تلك أحن اليك وانتسب لعهدك .

كان تعارفنا ، حتى يوم فصلت ، لا يزال سطحياً ، فيه بعض الآمال المشتركة ، وفيه جو من التفاهم مصبوغاً عليه لم نشعر رضا بك ورضاً بنفسي .

ولكن ، ما كدت تصلين الى حلب ، وتشكين بكآبة عنيفة وتشتهين من هجمة الحديد فيه ، حتى عدت الى صمت موحش فيه وراءه . تعلمت عند ذلك الاحساس ، كما تعلمت انا ايضاً يوم أحسست ، وانا امر امام منزلك ، بغرفة مهجورة سكنها شخص آواني وهدهد سرير احلامي . تعلمت ، ولكن ، فيريني هذا التبدل اهتماماً كبيراً . طلبته ثروة من ثروات الحب الجديدة . ولكني أحفظ انظر واذا برسالتك الاولى تصل الي كلمة مقتضبة فيها شيء وفيها لا شيء . وقبل ان اجيب عليها ، اذا رسالة ثانية تعقبها ، فيها طول في الشرح

*) راجع يوميات ميشال سرور تاريخ ١٧ آب ١٩٣٣ .

وفيها اخلاص في الاعتراف ، وفيها شوق وفيها غرام .

آخذ اليوم هذه الرسالة بين يدي ، وقد مسحها القدم بصفرته ، واطالع كل حرف منها ، فادخل من حديثه في جو الأول ، في اضطرابنا وبحثنا وأملنا .

وتمضي الشهور ، وازورك في حلب ، فنتحدث ونتحدث ، مرتمية في احضان غمرة حنان لك ، وكنت مخلصاً فيه .

واعود من مقابلتنا هذه في سكرة جديدة كأني لم أحب من قبل ، وفي وجهه أثر مخيلاتها على كتفي الكامل . أيكون هذا حباً ، حباً صرفاً ، اصرف الى مثله من قبل ؟

وتحرمنا الصدفة فاذا اوقات فراغي لمراسلتك ، واذا بك لي في كل الوقت ، واذا بك ذات يوم تفاجئني بنبأ الرقية [illegible] ان اكون في بيروت بعد يومين . التفاصيل عند ملتقانا . »

وتعودين الى استسلامك الكلي .. وهل في الدنيا غيرك يلمبثال؟
تركتك خلف بتدابير صغيرة حتى حين لك ان اقوم بها لاعود اليك
الى جوه، وعرفنا غرفتك من جديد، وصمتنا اشواق، وجمعت
قبلات .

آه ! اني اشعر بيدي ترتجف . القبلة ! القبلة .. القبلة ! الم تكن
هي اقوى جناية ارتكبتها ؟.. البث عن ايتها الخيالات الرائعة ، والى
الخطرات بوال الخالدة ساعديني على اعادة هذه الذكرى لاجدد على
نفسي واسأت العفو واستبحت الغفران .

عرفتك صبية خجولة . كنت اعرف ان امك مصدورة .

ترددت مراراً ، في بدء علاقتنا ، ان اقبلك على شفتيك بالرغم
من الحاحك ومن شوقي . وذات مرة ، وقد اشتد شوقي وكثر
الحاحك ، سألتك : « أسليمة انت ام ان علة الصدر آخذة بك؟ »
جمدت مبهوتة لاول وهلة ، وكأن نظرك لا يجد ، ثم افلت من بين
يدي شيئاً فشيئاً ، وارتميت ووجهت شطر الفراش تبكين وتشهقين .

وعبثاً حاولت اسكاتك ، وعبثاً كلمتك ، لم تجيبي على شيء .
وظللت في وقفتك هذه قرب نصف ساعة وانا انتظر مفكراً ، متألماً
فقد شعرت بفظاعة سؤالي لما كنت اعرف من رقة احساسك .

واخيراً رفعتُ رأسك ونظرتُ الى عينيك الحلم والحنان ، وقلتُ :
«اذهب بربك ، ابتعد عني . وعدْ ملتقي عند الصباح وتقدم «دمعي
مع القبل اهيم في ليلي ....

ورغبتُ في الذهاب ، ولكنك اصررتَ فلم اجد بداً من ذلك .

لم ترافقني الى الباب ، ولم تقتربي مني ، ولم تناوليني قبلة الوداع
بل ظللت كالطالة جالسة حيث انت ، تحبسين الدمعة في عينيك والتنهدة
في حلقك .

قضيت ليلي سهران مفكراً . انا اعرف حادثة جبران وماري
هاسكل يوم طلب اليها ان تقبله مريضاً فأجابته : «هل انت تضيع؟»
جارحة بذلك اقدس اقدامه ، محطمة آماله الفتية العذاب .

انا اشعر بفظاعة ما قلت ولكني لا ادري اسئم انا ام مسرور .
انا لا اشعر بشيء معين ، بل هناك اضواء من احلام واحساسات
تتراءى لي فاراها ، ولا استطيع ان افكر بها طويلاً فاستخرج نوراً
ظاهراً .

عدت اليك قبل الفجر استطيع نجمي ، واضع حداً لهذا الاسترسال
في غير المحدود . تناولت المفتاح من جيبي عند اول الدرج لافتح الباب
بسرعة . ولكن شد ما كانت دهشتي عندما وجدت الباب كما كنت
قد تركته بالامس غير مقفل .

ربي ! هل ذهبت نوال ... يا موت ... ولكن لا ، انت ابداً

لا زلت حيث تركتك الامس على المقعد تنظرين الى الخارج من فتحة باب . الليل مضى بكامله ، وانت ازفة تودعين حلماً جميلا عشته طوال حياتك — وأية حياة بعد غير التي عشتها بقربي ؟ تبكين على ذاك الحلم ينقلب فجأة يقظة مؤلمة .

ابيت وكدت ارتمي في حضنك . ولكني بحركة ميكانيكية تعودتها منذ زمن بعيد، قبلتك ... في جبينك . فارتميت عندئذ على الارض تقبلين قدمي وتدعين تسلك بين رجلي ، وعبثاً كنت احاول انهاضك ، فرعت شعرك ذليلة ، بائسة ، ووجهك منخفض الى الارض تمتمت :

« انا لست اهلا ان اكون عروساً لك ولن اكون ... »

ثم نهضت مسرعة دون ان تستمعي الى جواب ، وكدت اتبعين اصعدك ، ولكنك استجمعت قواك وذهبت فاغتسلت وعدت تهيئين المائدة .

كنت تمرين بالقرب مني في كل روحاتك، ولكنك لم تنظري الي . فكيف طاوعك قلبك على ذلك، وهل حقاً قسوت الى هذه الدرجة ، او ان نظراتك كانت ترتمي على هزالتي دون ان ادري ؟

اخيراً ناديتني من غرفة الطعام مع احمرار ... راقت ثورتك وعادت عاطفتك ، فجئت تداعبين شعري الجعدي وتدعينني بحنان الى الاكل . على المائدة تحدثنا في شتى المواضيع ، ولكن لم نتطرق ابداً الى حادث

البارحة ولا الى ما يقرب الحديث عنه .

وانتهينا ، ورجعت الى عمي والصمت الرهيب حول هذه البقعة يخيم على جوّنا .

وودعته يوم ذاك ولم اسحر ، وحسبي كنت احس ان فكرة السحر مستولية عليك تدعي في ذلك الرطب .

وقضينا أسبوعاً بعد ذلك الحادث تتقاذفنا أمواج من اليأس صاخبة ،
وتدغدغنا نسمات من الأمل حانية . أردتِ أن تمضي لم تستطيعي ،
وأردتُ أن أكفّر فتحرجت في استرجاعي أجواء عديدة تقادمت
قلبينا في ذاك الزمن ، ولكن كنت عاجزاً عن الابتعاد عنك ،
وكنتِ عاجزة عن فقد عطرائي ، لم يتزحزح حبنا أدنى ، بل ازداد
قوة وتمسكاً في البقاء .

وكان زواجنا مستحيلا . جرحتك اهانتك في احساسك المرهف، وجرحتك ورغبتك عن شرائع المجتمع . لك دين تربيت عليه ولك عزة نفس نشأت في عظمتها ، وفي اعماقك تضحية الذات الضعيفة لانعاش ذات قوة كلية — ولي دين لم تسايره مدنية بعد ، ولي آفاق يثقل علي فيها حس عصر ثان ، وفي اعماقي كبرياء انستني وانستك يا حبيبي .

تضافر كل هذا ليفرق بيننا . ولكن كان القدر قد جمع روحينا متضامنتين وجمعنا ووحدنا ... الى ان توحدنا يا حبيبي !..

في بعض ساعات تعقلي فكرت بسعادتك و... راحتي . ولكن لم اكذب يا حبيبي ؟ ولم اخدع نفسي ؟ اصبحت الشخص الوحيد الذي احب من كل جوارحي . لأقل نظرة قاسية ، او اقل حديث جاف ، ارى الدنيا قد اسودت في وجهي واحس اليأس استولى على وجودي . ما اظن ان حبي لغيرك تعلق في كما تعلق حبك . فانت حبيبتي الوحيدة ، بك احيا وبك اموت . . اهمتك احياناً اني عطفت

عليك لنعمه ، ولكن لا ... هو احب شيء في كل ما عمل .

« لاحبك صاحبك يكرهني ، ميسان ، كما ارى اجمة ادمي
وانا اسير معك ، عبر الى صمت لنرق فيها وانت الى جانبي على شاطيء
[illegible] وانت سيدة هي ، هو مت الموت معك ، لان الحياة بدونك كانت
تمثل لي جرداء ، قاحلة ، مجدبة . »

« اعتبتني كل ما احبك ، [illegible] ، وسعدت على مواطني ،
لاني لست فيك احب المتناهي ، الحب الذي وصل الى [illegible] من [illegible]
كنت اجهله ، الى [illegible] ما تعرفت اليها من قبل . »

— « لا ، لا ، لا يا حبيبي وانه قلبي ، لا تمس ابداً ، [illegible]
حياة [illegible] على [illegible] احبك ، [illegible] بحاجة الى حبك
فلا تخدع نفسك احياناً ، وتظهر بمظهر العابس بل كن دائماً صادقاً
ودع حبك بلا [illegible] كتاب [illegible] في ، واحس [illegible] وفيه . »

يا روح حبيبتي ، ساعديني في هذه الذكريات ورفرفي حولي
لاستمد الحياة من حبك ، واطير على جناحي السعادة حتى احضان
الالوهية !

وكان حنو من الهناء... وكانت رعشة في الخلود... وكان اثر يجمع القلوب ، هو طفل يبقى ثمرة في الوجود... وكانت سهرتنا في تلك الزاوية المعتمة من القهوة... وكانت عودة... وكان اتصال... وكان نداء... وكانت ليلتنا ، ليلتنا الخالدة ، عصرنا فيها ما حضنا من احساس عند ازل الاجيال، وعشنا بها ومشنا لنحيا في وليدنا .

وتبع ذلك ايام وليال ، وليال وايام ، حملت الينا الحلو والمر ، اسعدتني في ارتياحي واشقتني في شكي ، فوثقت في امنك ، وقلقت في سروك .

أأستعيد اليوم ذكرى تلك الشكوك التي انتابتني يوم عرف الناس حبنا وارادوا التفريق بين قلبينا ، فجاؤوا يقولون : « ان كذا و كذا ... انت واحد بين كثيرين قبلك و كثيرين سيأتون بعدك ... وان زهرة حلوة ينثر وريقاتها كل عابر سبيل ... اتق من عطفك واحذر هذه الزهرة فعطرها سام وفي اعماقها الموت الزؤام. »

قالوا كل ذلك ، فآمنت ساعة ، وقتلني ما انقطع في من قلق ويأس وحب اضمحلال ، واحتقار لذاتي وللكون وللحياة التي اعيش من لحظاتها .

وكانت لنا ليالي عتاب ، وايام نقمة ، وعرفت ليالي ارق وايام محنة..

قلبي يحترق لذكرى شكوكي ، فاين ذكريات الحلوة ؟

وكان ذلك اثناء مرضها واقامتها في المستشفى . كانت تقربها عيونها تحس بها انها تدنو من الموت ، فتنادي احلامها للوداع . وتلتفظني بذراعها ، وتضمني اليها بشدة لا استطيع الافلات منها ، وتتمتم من اعماق قوتها : « مينا ، حبيبي ... الوداع ... لا تبتعد عني ... دعني أمت وانت عطف علي كما انت ... » .

وكم من مرة كنت اضع يدي على فمها لاخفي هذه الكلمات الفاجعة ، او ارفع صوتي مغنيا ، عفوا لئلا تصل حسراتها الى ابعد من اذني .

ثم تشتد عليها النوبات فتتألم لالمي : « هل اصبحت اضايقك يا حبيبي ؟ سامحني يا مسعودي ... » ثم تبكي فامسح دموعها بشفتي .. واخفي عنها دموعي .

وكانت قد قطعت علاقاتها مع جميع البشر ، تنزوي في بيتها بعد عملها منتظرة مرور الحبيب ، وتحيا بهذا الانتظار .

وفي المساء كنا نشد حبنا ونضمه الطبيعة كلها . كنا نعيش كأن الدنيا لنا لا نعبأ باحد ولا بشيء ..

عرفنا الحب في جميع نواحيه ، واستشهدنا على حنايا الصخر والعشب ، نور القمر وسلام الليل ، هدوء الطبيعة وصخب الآلات الموسيقية ... عشنا كأننا وحيدان في عالم ما خلق الا لنا .

انه زوال . حينما اصبح كل كيانها وكل شيء يحيط بها يذكرني به . ظلت لي ، لي وحدي، واما انت يا عروسة ايامي ولياليّ .

وفي ساعات لذاتنا الحلوة ، كنت اسكر لكلمات يصدرها كل كيانك .

وفي عنفوانها الحلوة سمعت ساديني نظراتي تحصر صورتي في جبينك .

وذات مرة اصغيت : « انت في كل جارحة من جسمي ، وفي كل امل من روحي ... انت متصل في كياني تتلظى هذا الحنين في احشائي . انت مصدر حياتي ومعناها الوحيد ... دعني اقبل عينيك واعضّ على صورتها ...»

أنا مرتاح لهذه الذكريات ، وسأغفو على نغمها .
أسعدت مساء ، يا حبيبتي من سماوات الخلود . على هذا سأقضيه حالماً
بك ، ساهراً على أمل اللقاء في جنة الخيال .

انتهى طبع هذا الكتاب في ٣١ ك اول ١٩٣٨

على مطبعة الاتحاد

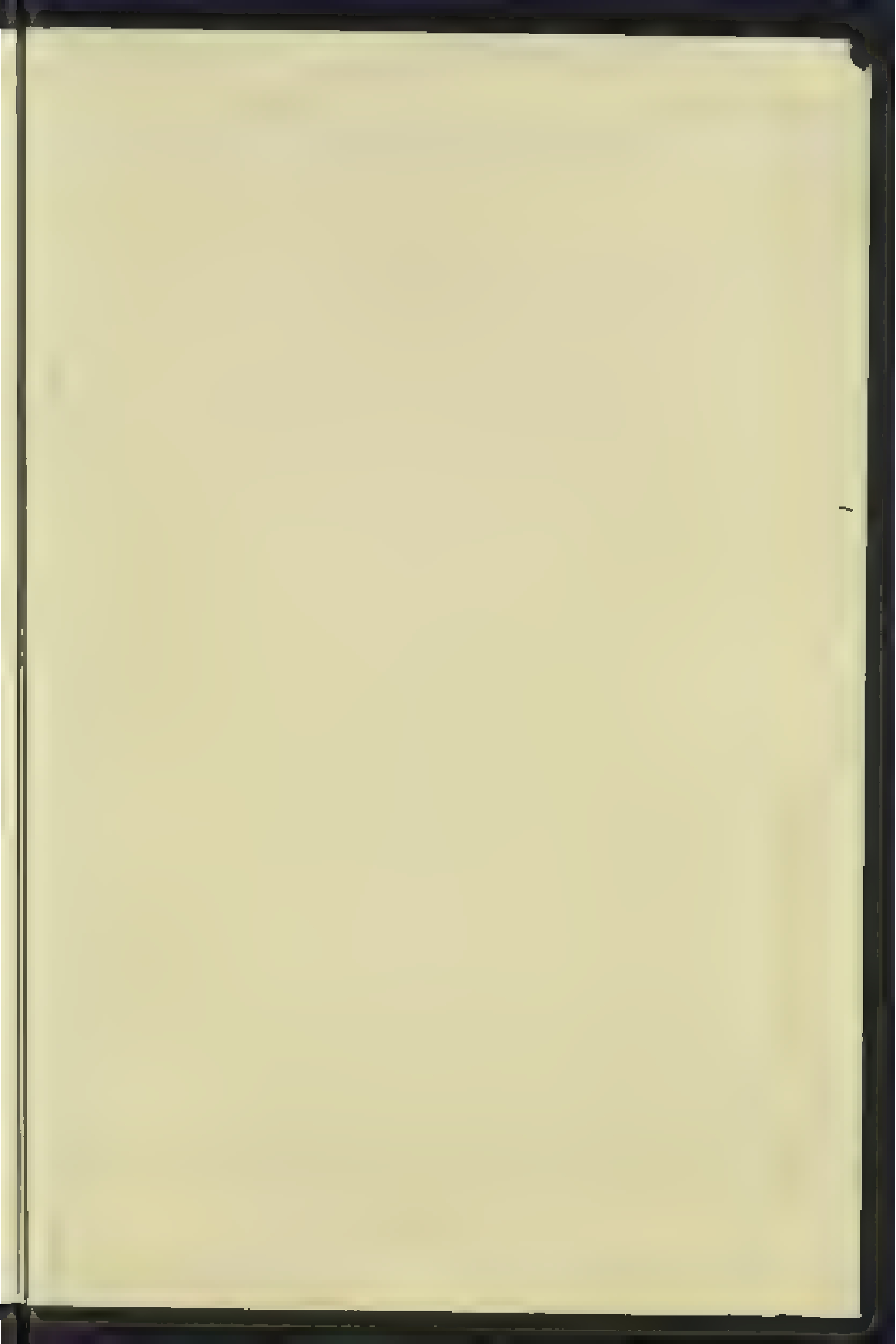

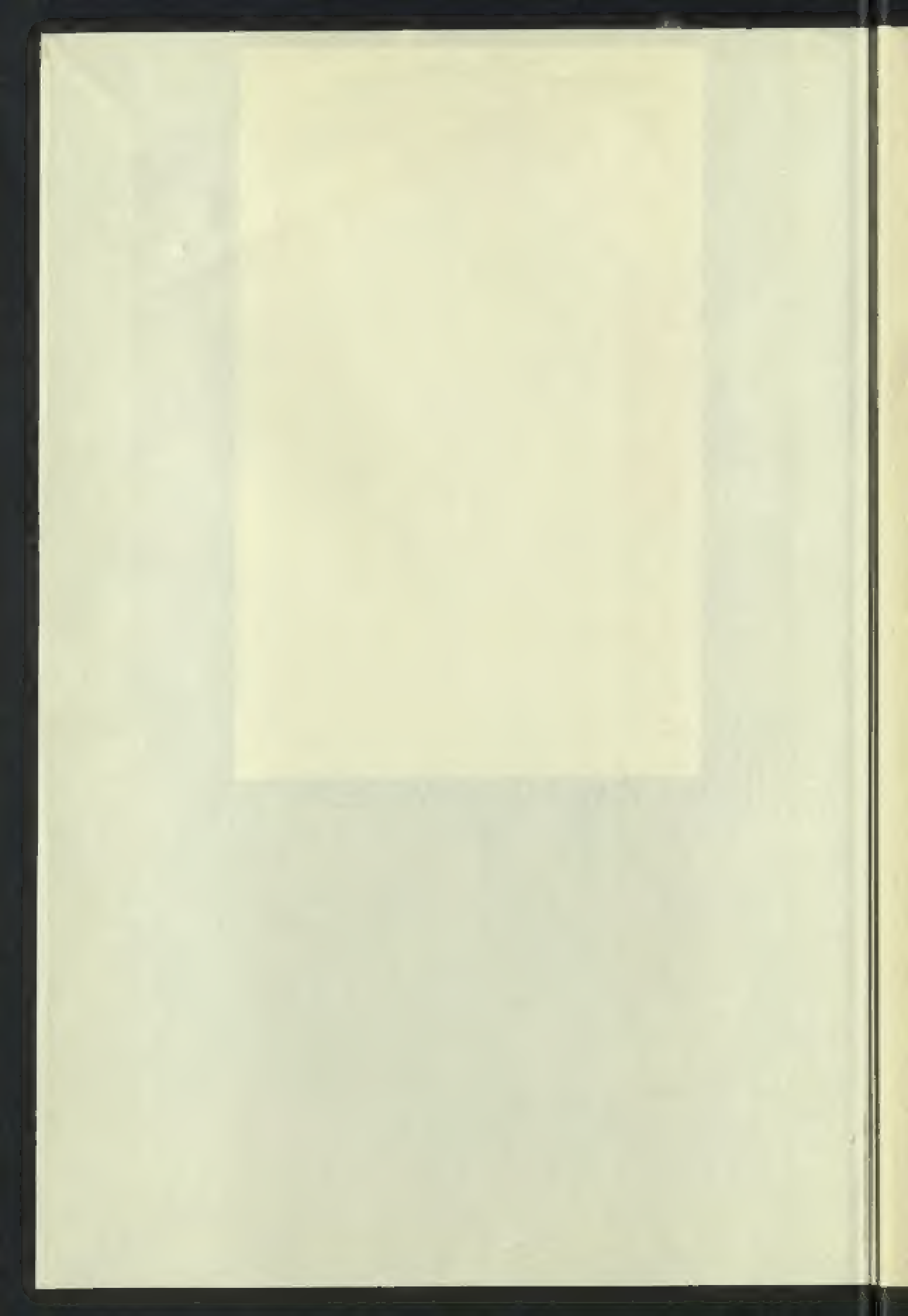

DATE DUE